خطاب النصر في القرآن الكريم في ضوء المعايير الخارجية للأداء النصيّ

أ.م.د علي حسن عبد الحسين الدلفي سندس عبد الكاظم غباش
جامعة واسط كلية التربية

توطئة:

في مفهوم (الخطاب، النَّصّ، النَّصر)

أوَّلاً: مفهوم الخطاب:

الخطابُ في الُّلغة: مصدرُ الفعلِ " خَطَبَ "، ويقالُ: " خَطَبَ فلانٌ إلى فلانٍ، فخطبه وأخطبه، أي: أجابه، والخطاب والمخاطبة مراجعةُ الكلامِ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان"(١)، والخطاب هو " الكلام بين متكلِّم وسامع، ومنه اشتقاق الخطبة بضمِّ الخاء وكسرها باختلاف معنيين فيقال في الموعظة: خطب القوم وعليهم من باب قتل بالضَّمِّ وهي فُعْلة بمعنى مفعولة نحو: نُسْخة بمعنى منسوخة وغُرْفة من ماء بمعنى مغروفة، وجمعها "خُطَب"، مثل: غُرْفة وغُرَف، فهو خطيب والجمع الخُطَباء، وهو خطيب القوم إذا كان المتكلِّم عنهم "(٢).

فالخطاب بمعناه اللُّغويّ نشاط تواصليّ بين متكلِّم ومتلقٍّ، وهو يتشابه مع المعنى الاصطلاحيّ؛ إذْ إنَّ الخطاب في الاصطلاح: " كلُّ منطوق به موجَّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً "(٣) ، والخطاب: "كلمة تستعمل للدّلالة على كلِّ كلام متَّصل اتِّصالاً يمكنه من أنْ ينقل رسالة كلاميَّة من المتكلِّم"(٤)، "ويعدُّ خطاباً كلُّ ملفوظ/مكتوب يشكِّل وحدة تواصليَّة قائمة الذَّات"(٥)، فهو "الملفوظ منظوراً إليه من زاوية آليَّات وعمليَّات اشتغاله في التَّواصل"(٦).

من هذه التَّعريفات يمكننا استقصاء ثلاثة أمور:

أوَّلاً: تحديد الثُّنائيَّة التَّقابليَّة جملة/خطاب؛ إذْ أصبح الخطاب شاملاً للجملة.

ثانياً: اعتماد التَّواصليَّة معياراً للخطابيَّة.

ثالثاً: إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب؛ إذْ أصبح من الممكن أن يُعدَّ خطاباً نصٌّ كامل أو جملة أو مركَّب(٧) .

"فالخطاب في هذا الفهم ذو طابع كلِّيٍّ شموليّ لا يتوقَّف على البعد اللسانيّ وحده، و لا على البعد الاجتماعيّ والتَّاريخيّ الذي يعتبر النَّصّ انعكاساً لحركة الدَّلالة في التَّاريخ، كما لا يقتصر على البعد التَّداوليّ المعنيّ بالتَّواصل في موقف محدَّد، ولكنَّه يمازج بين هذه الأبعاد نظراً وتطبيقاً "[٨] .

ثانياً: مفهوم النَّصِّ:

النّصّ في اللُّغة مأخوذ من مادَّة "ن . ص . ص " ، وله عدَّة معانٍ: " نصَّ الحديث إليه: رفعه، وناقته : استخرج أقصى ما عندها من السَّير، والشَّيء: حرَّكه، ومنه: فلانٌ ينصُّ أنفهُ غَضباً، وهو نصاص الأنف، والمتاع: جَعَلَ بَعْضَه فوقَ بعض"[٩] ، و "نصصت الحديث نصّاً من باب قتل، رفعته إلى من أحدثه. ونصَّ النِّساء العروس نصّاً رفعنها على المنصَّة وهي الكرسيُّ الذي تقف عليه في جلائها"[١٠] .

أمَّا النَّصُّ في الاصطلاح فقد تباينت نظرة الباحثين له، فمنهم من يرى أنَّ النَّصّ كلّ خطاب تمَّ تثبيته بواسطة الكتابة، وهذا التَّثبيت أمر مؤسِّس للنَّصِّ نفسه، ومقوِّم له[١١]. ومنهم من يرى أنَّه بنية دلاليَّة تنتج ضمن بنية نصِّيَّة منتجة في إطار بنية أوسع، وهذه البنية مرتبطة بالسِّياق (الاجتماعي والتَّاريخي والثَّقافي)[١٢]، فالنَّصُّ "وحدة دلاليَّة وليست الجمل إلّا الوسيلة التي يتحقَّق بها النَّصُّ"[١٣]، والنَّصُّ "شفرة يقوم القارئ بفكِّها، وأنَّ النَّصَّ شكل لسانيّ للتَّفاعل الاجتماعيّ في سياق مقام معيَّن يتشكَّل عبر ثلاثة عناصر، هي المجال، والعلاقة، والمنحى، فالمجال يتَّخذ فيه النَّصُّ وظيفته الدّلاليَّة في ضوء الهدف الذي يرمي إليه المتكلِّم إلى تبليغه، والعلاقة تقوم بين المتكلِّم والمستمع، والمنحى يشير إلى الأداة الرَّمزيَّة "[١٤]، فهو جهاز عبر لسانيّ يعيد توزيع نظام اللِّسان بواسطة الرَّبط بين كلام تواصليّ يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السَّابقة عليه أو المتزامنة معه "[١٥]. "وينبغي الالتفات إلى نقاط مهمَّة تعدُّ سمات للنَّصِّ، وهي:

١/ كون النَّصِّ منطوقاً أو مكتوباً أو كليهما.

٢/ مراعاة الجانب الدَّلاليّ.

٣/ مراعاة الجانب التَّداوليّ.

٤/ مراعاة جانب السِّياق، وهو متعلِّق بالمعيار السَّابق.

٥/ مراعاة جانب التَّماسك.

٦/ مراعاة الجانب الوظيفيّ للنَّصِّ.

٧/ مراعاة التَّواصل بين المنتج والمتلقِّي.

وتعدُّ هذه المعايير سمات للنَّصِّ الكامل، وإذا اختلَّت سمة من هذه السِّمات يمكن أن نطلق على النَّصِّ نصّاً ناقصاً "(١٦).

فالنَّصُّ " هو كلّ كلام متَّصل ذو وحدة جليَّة تنطوي على بداية ونهاية، ويتَّسم بالتَّماسك والتَّرابط، ويتَّسق مع سياق ثقافيٍّ عامٍّ أُدرج فيه، وينسجم مع سياق خاصٍّ أو مقام يتعلَّق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللُّغة، وبين بداية النَّصِّ وخاتمته مراحل من النُّموِّ القائم على التَّفاعل الدَّاخليّ، وهذا التَّفاعل يؤدّي بالنَّصِّ إلى إحداث وظيفته التي تتمثَّل في خلق التَّواصل بين منتج النَّصِّ ومتلقِّيه"(١٧).

ومن خلال تعريف الخطاب، وتعريف النَّصِّ، نلحظ أنَّ " الخطاب مجموعة من النُّصوص ذات العلاقات المشتركة، أي أنَّه تتابع مترابط من صور الاستعمال النَّصِّيّ يمكن الرُّجوع إليه في وقت لاحق، وإذا كان عالم النَّصِّ هو الموازي المعرفيّ للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان في الذَّاكرة من خلال استعمال النَّصِّ فإنَّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغويَّة أو مجتمع ما"(١٨) . فالخطاب ملفوظ يتميَّز بخاصيَّات نصِّيَّة لكنَّه يتميَّز أساساً بوصفه فعلاً خطابيّاً أُنجز في وضعيَّة معيَّنة (مشاركون، موضع، زمان)، أمَّا النَّصُّ فهو بالمقابل موضوع مجرَّد ناتج عن نزع السِّياق عن الموضوع المحسوس (الخطاب)(١٩).

ثالثاً: مفهوم النَّصر:

النَّصر في اللُّغة: " النُّون والصَّاد والرَّاء أصل صحيح، يدلُّ على إتيان الخير وإيتائه، ونصر الله المسلمين: آتاهم الظَّفر على عدوِّهم "[٢٠]، و "النَّصر إعانة المظلوم، نصره على عدوِّه ينصره، ونصره بنصره نصراً، والنَّصير: النَّاصر، والأنصار: أنصار النَّبيِّ" صلى الله عليه وآله وسلم" غلبت عليهم الصِّفة فجرى مجرى الأسماء، وانتصر الرَّجل: إذا امتنع من ظالمه، وانتصر منه: انتقم"[٢١]. والانتصار والاستنصار: "طلب النُّصرة"[٢٢] .

وجاءت لفظة النَّصر في القرآن الكريم باشتقاقات وصيغ متعدِّدة بلغت مئة وثمان وخمسين مرَّة . أمَّا كلمة النَّصر فقد ذُكِرَتْ صراحةً إحدى عشرةَ مرَّة[٢٣] . فلفظة (نصر) جاءت بكثرة في القرآن الكريم وهذا يدلُّ على حرص القرآن على إبراز الغاية من الخلق أساساً؛ إذْ إنَّ مقاييس البقاء تدور حول الصِّراع المستمرِّ بين الحقِّ والباطل، والحقُّ منتصر لا محالة، فصيغ النَّصر والصِّيغ المرادفة للنَّصر في القرآن تؤكِّد على انتصار الخير في الدُّنيا والآخرة، وكان عرض ذلك بصور وخطابات متنوِّعة بحسب السِّياق الذي ترد فيه، واختيار اللَّفظ الدَّالِّ على النَّصر، فهناك ألفاظ كثيرة تقترب دلالاتها من دلالة النَّصر، ومن هذه الألفاظ :

١ / الفتح: في قوله تعالى: ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾[٢٤] ، فالفتح هنا بمعنى النَّصر لرسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم" على أعدائه.

٢ / التَّمكين: في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢٥] ، فالتَّمكين هو النَّصر للمؤمنين، وجاء الوعد لهم بالنَّصر، وأنَّهم خلفاء الأرض، وهم الآمنون بعد خوفهم بشرط ألّا يكفروا، فمن كفر فهو فاسق مُبعد من رحمة الله.

٣ / الظَّفر: في قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾[٢٦] ، أي: مكَّنكم منهم، فانتصرتم عليهم.

٤ / الظُّهور: في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾[٢٧] ، فقوله " إِنْ يَظْهَرُوا " معناه: "إنْ ينتصروا "[٢٨].

٥ / الفوز: في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[٢٩] ، ومنه أيضاً: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٣٠] .

٦ / الفرقان: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾[٣١] ، " فالفرقان يُطلق على نصر الحقِّ على الباطل"[٣٢] .

٧ / النَّجاة : في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾[٣٣] ، فالنَّجاة هي النَّصر والخلاص من الهلاك.

٨ / الغلبة: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[٣٤] ، وقوله: ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾[٣٥] .

فهذه هي أبرز الألفاظ التي تدلُّ على النَّصر في القرآن الكريم ، وكلُّ لفظ جاء متناسقاً مع الغرض الذي سيق له، متوافقاً مع الألفاظ الأخرى التي ترد في سياق النَّصِّ.

أنواع النَّصر:

أنواع النَّصر: " هي الطُّرق والكيفيَّات التي يتحقَّق بها نصر الله لرسله وأوليائه على أعدائهم، وقد يظنُّ كثير من النَّاس أنَّ صورة النَّصر واحدة تتمثَّل بالغلبة المادِّيَّة والعسكريَّة فقط، لكنَّنا نقول أنَّ صور النَّصر وأشكاله متعدِّدة وقد تحقّق النَّصر لرسل الله تعالى ولم يُهزم منهم أحد، ومع ذلك فإنَّ طبيعة المواجهة والصِّراع بين كلِّ رسول وقومه أخذ شكلاً معيَّناً قد يختلف عن غيره من الرُّسل، فمنهم من ظلَّ الصِّراع بينه وبين قومه فكريّاً، ومنهم من تحوَّل هذا الجدل الفكريّ بينه وبين قومه إلى قتال ومواجهة، فاختلفت صور النَّصر بحسب طبيعة قومه، وطبيعة مواجهته لهم"[٣٦]، ومن صور النَّصر وأشكاله:

١ / النَّصر بالغلبة مباشرة، وقهر الأعداء على أيدي الأنبياء والرُّسل، وهذا النَّوع من النَّصر هو النَّصر الظَّاهر الذي يتبادر إلى الذِّهن عند إطلاق كلمة النَّصر، كما حصل لبعض رسل الله كداود "عليه السلام": ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[٣٧]، وكما حصل لنبيِّنا محمَّد "صلى الله عليه وآله وسلم"؛ إذِ انتصر على أعدائه نصراً مؤزَّراً، قال تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾[٣٨] .

٢ / النَّصر بإهلاك المكذِّبين ونجاة الأنبياء والمرسلين ومن آمن معهم، كما حصل لكثير من الأنبياء، مثل نوح "عليه السلام"، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾(٣٩)، وكما حصل لهود "عليه السلام"، قال تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾(٤٠) ، وكما عذَّب اللهُ قومَ صالح "عليه السلام" ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾(٤١) .

٣ / النَّصر بثبات الدَّاعية على مبدئه: وهذا النَّوع من النَّصر يكون بعد محاولات متتالية من الأعداء لإرغام الرَّسول أو الدَّاعية على التَّنازل عن دعوته، أو عن جزء منها، فيمارسون عليهم أشدَّ أنواع الإغراء والإرهاب لعلَّه يتنازل، ومثال ذلك ما حصل مع رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "؛ إذْ عرضت عليه قريش صوراً من الإغراء لكنَّه لم يتنازل عنها وإنَّما بقي ثابتاً على دعوته. ومن ذلك عندما حاول قوم إبراهيم "عليه السلام" تخويفه بإلقائه في النّار لكنَّه بقي على مبدئه، قال تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۝ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾(٤٢) ، ولا أدلّ على ذلك من قصَّة أصحاب الأخدود الذين فضَّلوا أن يُلقوا في النَّار على أن يُساوَموا على دينهم وعقيدتهم، فانتصر مبدؤهم رغم أنَّهم قُتِلوا جَميعاً إحراقاً بالأخدود.

٤ / النَّصر بقوَّة الحجَّة والبرهان: صورة من صور النَّصر تكون بعد جدال عقليّ بين الرُّسول أو الدَّاعية على حجَّة عدوِّهم، فينكفئ الكافر مهزوماً مبهوتاً لضعف حجَّته، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾(٤٤) .

٥ / النَّصر بحماية الدَّاعية من القتل: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾(٤٥) .

وهكذا نرى أنَّ صور النَّصر وأشكاله متعدِّدة، تتحقَّق بصور وكيفيَّات متنوِّعة بحسب طبيعة القوم، وطبيعة الزَّمان، وطبيعة المواجهة التي تقع بين أصحاب الرِّسالات و أعدائهم .

مقوِّمات النَّصر:

للنَّصر مقوِّمات كثيرة ومتعدِّدة، منها:

١/ الإيمان: ويُعدُّ أبرز مقوِّمات النَّصر؛ لهذا قدَّم سبحانه الإيمان على العمل الصَّالح في آية الاستخلاف، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾(٤٦) ، فمن أراد النَّصر لا بدَّ أن يكون مؤمناً بالله، ومعتقداً بالحقِّ الذي يجاهد من أجله وفي سبيله، ففي هذا الإيمان قوَّة لا تقلُّ عن قوَّة السِّلاح إن لم تزد عليه، وأنَّ الكثرة العدديَّة من غير إيمان وتقوى تكون غثاء كغثاء السَّيل، وسبباً من أسباب الوهن والهزيمة(٤٧) ، والنَّصر لا يتأتَّى إلّا بعد الجهاد والتّضحيات، ووقود المعارك الفاصلة دوماً هم المؤمنون الصَّادقون، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٤٨)، وقال سبحانه: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾(٤٩) .

٢/ ذكر الله (العبادة):

العبادة شرط أساسيّ من شروط تحقُّق النَّصر سواء في الدُّنيا أم في الآخرة، فالعبادة هي الغاية الأولى التي خُلق لأجلها الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٥٠)، وقد أكَّدت خطابات القرآن على العبادة ودورها في فوز الإنسان، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾(٥١) ، هذا الذِّكر تنعقد عليه سعادة المؤمن فهو مرتبط بالنَّاصر الذي لا يخذل من ذكره، وهذا الذِّكر يبعث الاطمئنان في النَّفس، قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(٥٢)، والذِّكر له دور بارز في إحراز النَّصر؛ لذلك حرص القرآن على تأكيد أهمِّيَّته وأوصى المؤمنين في الحرب بالتزام الذِّكر حتَّى وهم في أشدّ الحالات مع العدوّ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا

﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا فَإِذَا ۝ قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[٥٣]، فالخطاب يحثُّ المؤمنين على التزام الذِّكر، وأخذ الحذر، والإعداد لمواجهة العدوّ، وما ذلك إلّا لتحقيق أسباب ما أعدَّ الله لهم؛ لأنَّ الله إذا أراد أمراً هيَّأ أسبابه. وفيه تعليم للمسلمين أنْ يطلبوا المسبِّبات من أسبابها[٥٤] .

٣ /الإعداد للحرب: هذا العامل مهمٌّ جدّاً لتحقيق النَّصر وهو يستلزم تحشيد الطَّاقات في سبيل الغاية المنشودة، وقد حثَّ الخطاب عليه، في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٥٥]، فالإعداد يكون بكلِّ ما يُتقوَّى به، فقد "أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يستعدُّوا للحرب التي لا مندوحة عنها لدفع العدوان والشَّرِّ، ولحفظ الأنفس، ورعاية الحقِّ والعدل والأمن والفضيلة بأمرين:

١ / إعداد جميع أسباب القوَّة وحشدها بقدر الاستطاعة.

٢ / مرابطة جيوشهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أنْ يكونَ للأمَّة جندٌ دائمٌ مستعدٌّ للدِّفاع عنها إذا فاجأها العدوّ.

وإعداد المستطاع من القوَّة يختلف الأمر الرَّبَّانيُّ فيه باختلاف الأزمان، ودرجات الاستطاعة، ونوع القوَّة والسِّلاح في كلِّ زمان ومكان "[٥٦].

هذا فيما يتعلَّق بالنَّصر في المعارك، وانتصار الرُّسل والأنبياء وانتصار دعواتهم. وهناك النَّصر في الآخرة، وهو الفوز بالجنان، وهو يبدأ من الاستقامة وحصول التَّوفيق في الدُّنيا فيمتدُّ هذا التَّوفيق إلى الفوز الأبديّ في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، السُّورة هنا جمعت صفات ينبغي للعاقل أنْ يتأمَّل فيها؛ إذْ لا ينبغي لعاقلٍ أن يسأل عن وسائل

النَّصر وأسبابه قبل أن يرفع نفسه ومن معه دخائل الخسارة وموجبات النَّقص، والسُّورة هنا جزمت بقسم عظيم بالخسران لجنس بني الإنسان عموماً ما لم تتوافر في ستُّ خصال، هي:

١ / الإيمان.
٢ / العمل الصَّالح.
٣ / أن يكون في جماعة، وهذا واضح من مجيء التَّعبير بـ (الإنسان) مفرداً، ثمَّ مجيء الاستثناء بصيغة الجمع (إلّا الذين).
٤ / وجود مبدأ التَّواصي ومثوله.
٥ / التَّواصي بالحقِّ: وهو شرائع الدِّين.
٦ / التَّواصي بالصَّبر.

إنَّ هذه الخصال الستّ حين تتوافر في جماعة من الجماعات أيّاً كانت فهي كفيلة بأن تجعلها في ضمان وأمان من كلِّ خسارة أُخرويَّة أو دنيويَّة(٥٧) . قال تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾(٥٨) ، فالخشية من الله تعالى، والعبادة الصَّادقة تقود صاحبها إلى الفوز، وجاءت النُّصوص تنهى عن مسبِّبات الخسران، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾(٥٩) ، فالابتعاد عن المعاصي في السِّرِّ والعلن يقي الإنسان من الخسران.

والمؤمنون المتَّقون هم الفائزون، وهم خير البشر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾(٦٠) ، فالخطاب وصف المؤمنين بـ(خير البريَّة)، وهم المؤيَّدون بالنَّصر من الله تعالى في الدُّنيا والآخرة.

المعيار الأوَّل : القصدية والمقبولية

أولاً : القصديَّة:

هي أحد المعايير النَّصِّيَّة التي حدَّدها دي بوجراند و دريسلر، والقصد يتضَّمن موقف منتج النَّصِّ لإنتاج نصٍّ متناسق ومتماسك، باعتبار منتج النَّصِّ فاعلاً في اللغة، مؤثِّراً في تشكيلها وتركيبها(٦١)، واللغة عبارة عن " أصوات يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم "(٦٢)، وعلى هذا فالنُّصوص ليست سوى مجموعة من الرُّموز اللّغويَّة المعبِّرة عن وظيفتها، وإنَّ وظيفتها إنَّما هي الاتِّصال الاجتماعي(٦٣)، "فالمنطوقات اللغويَّة والبنى النَّصِّيَّة تهدف في العادة إلى الإسهام في الاتِّصال والتَّفاعل الاجتماعي؛ لذلك فهي تتضمَّن وظيفة دينامية، ولمحاولة فهم كيف يعمل الخطاب يجب أن نأخذ في الاعتبار الجوانب القصديَّة والمقبوليَّة لتشكيل الخطاب وتفسيره أيضاً"(٦٤)؛ لأنَّ اللغة بحسب جوهرها ليست نظام علامات حسب، بل إنَّها قبل كلِّ شيء نشاط تواصلي(٦٥)، بين منتج النَّصِّ ومتلقِّيه؛ لذا يتوجَّب علينا إدخال اتِّجاهات مستعملي النُّصوص ضمن معايير النَّصِّيَّة، ولا غنى لأيِّ مشكلة لغوية يراد استغلالها في التَّفاعل الاتِّصاليّ عن توافر القصد بأن تكون نصّاً وعن قبولها بهذا الاعتبار(٦٦)، فهناك عناصر لا غنى عنها في تمثيل عمليَّة إنتاج النَّصِّ باعتبارها عمليَّة تواصل، أحد هذه العناصر هو توافر القصديَّة من قبل المرسِل، والمقبوليَّة من قبل المتلقِّي، وبذلك تعدُّ القصديَّة والمقبوليَّة من المعايير التي تحقِّق صفة النَّصِّيَّة من منظور الجانب الاتِّصالي في تحليل الخطاب(٦٧)، من هنا يستمدُّ القصد شرعيَّة وجوده ضمن المعايير النَّصِّيَّة لأيِّ نصٍّ، فإنَّ كلَّ نصٍّ يفترض فيه وجود نيَّة للتَّوصيل والإبلاغ، ومعنى هذا أنَّ للقصد تأثيراً في بنية النَّصِّ وأسلوبه؛ ذلك أنَّ المنتج يبني نصَّه بناءً معيَّناً، ويختار لذلك الوسائل اللّغويَّة المعيَّنة بما من شأنه أن يضمن تحقيق قصده(٦٨)، "وجملة الأمر أنَّه لا يكون ترتيب في شيء حتَّى يكون هناك قصد"(٦٩)، وهذا القصد يكون بالتَّفاعل بين المنتج والمتلقِّي، وفق السِّياق الذي يطلق فيه النَّصُّ/الخطاب، وهذا يؤكِّد ضرورة العناية باستعمال اللّغة في السِّياق؛ لأنَّ المنطوقات اللّغويَّة تهدف إلى الإسهام في الاتِّصال والتَّفاعل الاجتماعي، وهذا يندرج تحت عنوان التَّداوليَّة، التي تختصُّ بتحليل الأفعال الكلاميَّة، ووظائف المنطوقات اللغويَّة وسماتها في عمليَّة الاتِّصال بوجه عام(٧٠)، فالقصديَّة تعني: "الدّلالة والفهم، فالدّلالة تعني ضرورة توافر قصد التَّواصل من قبل المرسل، والفهم يعني الاعتراف من قبل المتلقِّي بقصد تواصل المتلقِّي"(٧١)، والقصد يمثِّل مجموع الخصوصيَّات التي تميِّز دلالة وحدة مفرداتيَّة من دلالة وحدة أخرى(٧٢)، ويرتبط القصد بالمرجع العام القائم على التَّعرُّف على المستويات اللغويَّة البانية للنَّصِّ، والمرجع الخاص القائم على فهم العناصر التَّوجيهيَّة وتأويلها، قصد ضبط

الوظيفة الاتِّصاليَّة التي يهدف إليها النَّصُّ، ويتمثَّل المرجع العام في تحديد المعارف المشتركة بين منتج النَّصِّ ومتقبِّله، وهو ضرب من العقد بين المنتج والمتلقِّي، يساعد على الفهم والتَّأويل، أمَّا المرجع الخاص فبه تتحدَّد مقاصد النَّصِّ بمعرفة جميع سياقاته: وهي: السِّياق الدّلاليّ، الذي يكشف عن علاقة الدَّالِّ بالمدلول والمرجع، والسِّياق النَّسقيّ الذي يحدِّد علاقة العبارات ببعضها البعض، ضمن سلسلة الملفوظ(٧٣)، فالقصد هو الغاية والهدف الذي عُقد النَّصُّ/الخطاب لأجله، فلولا القصد والرَّغبة في تحقيق غاية معيَّنة لما تحقَّق المعنى المراد من الخطاب(٧٤). والقصد ينقسم على: المقاصد المباشرة، وهي التي تكون بأفعال وعبارات صريحة، خالية من الغموض أو الإشارات البعيدة إلى أغراض أخرى . والمقاصد غير المباشرة، وهي التي يكون فيها قصد غامض أو غير صريح، يتطلَّب من المخاطَب تخمين مقاصد المتكلِّم، فمثلاً إذا قال المتكلِّم: أغلق الباب . يكون القصد مباشراً و واضحاً، أمَّا إذا قال: يوجد تيَّار هواء . فإنَّ المخاطَب سيخمِّن قصد المتكلِّم، فيتوَّصل إلى مقصده من خلال هذه العبارة غير المباشرة في طلب إغلاق الباب(٧٥) .

وخطابات القرآن كلُّها ترمي إلى سعادة الإنسان من خلال إقراره بوحدانيَّة الله، ونصر دين الله الواحد على سائر الأديان، وإعلاء كلمة الله فوق الشِّرك والمشركين، وخاصَّةً فيما يتعلَّق بخطاب النَّصر في القرآن الكريم، ومقاصد هذا الخطاب جاءت على:

أوّلاً: المقاصد المباشرة:

هي المقاصد التي لا تحتاج إلى تأويل واجتهاد في فهم معنى الخطاب، وأكثر ما جاء من هذا النَّوع في خطاب النَّصر في القرآن الكريم ما كان محفِّزاً للمؤمنين للاستمساك بسبل النَّجاة، وتبشيرهم بعظيم النَّصر الذي سينالون، كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾(٧٦) ، الخطاب هنا عامٌّ، فالكافر مجازى بسوء عمله، والكافر مجازى بصلاح عمله، وقوله: " ومن يعمل من الصالحات " دخلت "من" للتبعيض؛ إذِ الصَّالحات على الكمال ممَّا لا يطيقه البشر، ففي هذا رفق بالعباد، لكن في هذا البعض: الفرائض وما أمكن من المندوب إليه، ثمَّ قيَّد الأمر بالإيمان؛ إذ لا ينفع عمل دونه. والنَّقير: النُّكتة التي في ظهر النَّواة ومنه

تنبت، ثمَّ أخبر الله تعالى أنَّه لا أحسن ديناً ممَّن أسلم وجهه لله[٧٧]. فكان القصد من هذا الخطاب إثارة المتلقِّي وتحفيزه على الأخذ بما يصبُّ في صالحه، ووجود المتلقِّي في النَّصِّ القرآنيّ أمر جوهري؛ لأنَّه يكمِّل عملية التَّواصل[٧٨]؛ إذ لا قصد من دون وجود متلقٍّ أُنشئ النَّصُّ/الخطاب لأجله .

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٧٩]، الخطاب هنا يوضِّح أنَّ الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصَّالح لكلِّ إنسان هو الذي ينجيه يوم القيامة، وهو الذي يحقِّق له الفوز، والخلود الأبدي في الجنان، فالمؤمنون "لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ".

ومن المقاصد المباشرة في خطاب النَّصر في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٨٠] ، لقد غلبت البنية الفعليَّة على هذا النَّصِّ؛ لتحقيق أو لبلوغ القصد من الخطاب، فكانت أغلب جمله جملا فعليَّة تدلُّ على الحركة والحيويَّة والفعاليَّة؛ لترصد البؤرة النَّصِّيَّة وهي " النَّصر"، وتساهم في رسم حيِّز النَّصِّ ولحمته ، لقد أدَّت جمل النَّصِّ الفعليَّة إلى تماسكه من خلال علاقات الجمل الفعليَّة التي تواردت وتوالت، وقد توزَّعت بين جمل في زمن الماضي، وجمل في زمن الحاضر أو المستقبل[٨١]، وكان مجيء القسم آليَّة مهمَّة من آليَّات القصد في هذا النَّصِّ، وكذلك مجيء نون التَّوكيد له أثر بارز في تشكيل مقصديَّة الخطاب، فقد جاء في الأفعال: " ليستخلفنَّهم ، ليمكِّننَّ ، ليبدِّلنَّ ".

ومن القصد المباشر أيضاً، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[٨٢]، الصِّفات في هذا الخطاب تؤهِّل صاحبها للنَّصر الأُخرويّ، ونيل المغفرة والأجر العظيم، وهذا الأمر يتساوى فيه الرِّجال والنِّساء؛ لذا جاء

العطف بالواو؛ فالقصد هنا إجمال كلِّ ما يتساوى فيه الرِّجال والنِّساء، ممَّا يجمع بين خيري الدُّنيا والآخرة، تحقيقاً للمساواة في التَّكاليف والثَّواب عليها، وهو ما حاول النَّصُّ حشده من جميع الصِّفات التي تكمِّل الإنسان في دينه وخُلقه، وتعينه على الوصول إلى مرضاة الله، من حسن الإسلام وعمق الإيمان ، والصِّدق، والصَّبر، والخضوع لله تعالى، وأداء العبادات من صوم وزكاة كنموذج لغيرهما، وحفظ الفروج كنموذج للانتهاء عمَّا نهى الله، والمداومة على ذكره؛ استحضاراً لعظمته والخشية الدَّائمة منه، وهذا ما يؤهِّل المسلم من الجنسين لما أعدَّه الله له من المغفرة والأجر العظيم(٨٣). فكان العطف مناسباً جدّاً لإبراز القصد من الخطاب.

ومن القصد المباشر، قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾(٨٤)، الخطاب هنا موجَّه إلى المسلمين" قصد منه عظتهم ألَّا يغترُّوا بحال الذين كفروا، فتعجبهم زينة الدُّنيا وتلهيهم عن التَّهمُّم بما به الفوز في الآخرة، فإنَّ التَّحذير من الغايات يستدعي التَّحذير من البدايات، وقد صُدِّر هذا الوعظ والتَّأديب ببيان مدخل هذه الحالة إلى النُّفوس حتَّى يكونوا على أشدِّ الحذر منها؛ لأنَّ ما قرَّرته النَّفس ينساب إليها مع الأنفاس "(٨٥)، وفي قوله: (قل أؤنبِّئكم بخير من ذلكم.....)، جاء الاستفهام لتحقيق القصد من الخطاب، وهو التَّشويق والتَّسلية عن الدُّنيا، والتَّقوية لنفوس تاركيها، فجاء الاستفهام هازّاً للنفوس وجامعاً لها؛ لتسمع هذا النَّبأ المستغرب النَّافع لمن عقل(٨٦) .

وقد تأتي نصوص متشابهة في المعنى، لكنَّها تختلف في طريقة العرض تبعاً للقصد والغرض منها ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾(٨٧)، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(٨٨)، الغاية من اختلاف طريقة العرض أنَّه تعالى قال: " إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ "، فقدَّم ذكر النَّفس على المال، وفي قوله: " وَالْمُجَاهِدُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ "، "قدَّم ذكر المال على النَّفس، والقصد من ذلك: أنَّ النَّفس أشرف من المال، فالمشتري قدَّم ذكر النَّفس؛ تنبيهاً على أنَّ الرَّغبة فيها

أشدُّ، والبائع أخَّر ذكرها تنبهاً على أنَّ المضايقة فيها أشدُّ فلا يرضى ببذلها إلَّا في آخر المراتب "(٨٩)، "فقد رُوعيَ إذن حال الباذل مرَّة فقدَّم ما هو أهون عليه في البذل، ثمَّ رُوعيَ مقام المبذول له، وموطن رغبته فقدَّم ما هو أدخل في الغرض وأهمّ، مع أنَّ الموطن واحد. وتلك من دقائق بلاغة القرآن "(٩٠)، فالخطاب القرآنيُّ نمطٌ تعبيريٌّ خاصٌّ، يتكوَّن من اللغة في تراكيبها وأنساقها وبالتَّالي في دلالاتها ومقاصدها، وهذا ما يحمل المتلقِّي على التَّعامل مع بنية الخطاب على وفق ما يتطلَّبه سياق الممارسة نفسها، ولاسيَّما إذا أخذنا بالحسبان أنَّ النَّصَّ القرآنيَّ يظلُّ نصّاً مفتوحاً تتناوله الأجيال المتعاقبة بحسب مرجعيَّاتها الثَّقافيَّة(٩١) .

ومن المقاصد المباشرة أيضاً، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٩٢) ، الخطاب هنا يبيِّن حال الفريق الفائز، وهم المؤمنون بالله، وجاء الخطاب بألفاظ مباشرة ؛لتبيين القصد منه، فالقصديَّة هنا تكون بمثابة قوَّة الدَّفع للخطاب اللُّغويِّ بشكلٍ عامٍّ مهما كان تنوُّعها النَّفسيُّ واستراتيجيَّاتها التَّداوليَّة(٩٣) .

ومنه أيضاً: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ۝ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ۝ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ۝ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً ﴾(٩٤)، الخطاب هنا فيه آليَّات لطيفة من أجل تحقيق القصديَّة، ففيه تلوين كثير "ووجه التَّلوين ظاهر في الانتقال من صيغة مرتَّبة للفعل الماضي (كان يريد) إلى صيغة مجرَّدة منه (أراد)، وفي الآيات أيضاً تلوين للأسلوب بالانتقال من صيغة المتكلِّم (عجَّلنا، نشاء، نريد، جَعَلْنا، نمدُّ) إلى صيغة الغائب (عطاء ربِّك)، ثمَّ العودة إلى المتكلِّم (فضَّلنا)، وفيها أيضاً تلوين للأسلوب بالانتقال من المشيئة إلى الإرادة، وهما فعلان متغايران، ولكنَّهما متقاربان، ثمَّ التَّلوين بين الجملة الفعليَّة (عجَّلنا) التي تفيد الحدوث والعبور للتَّعبير عن جزاء حبِّ العاجلة، والجملة الأسميَّة (فأولئك كان سعيهم مشكورا) التي تفيد الثُّبوت، أي: ثبوت جزاء إرادة الآخرة "(٩٥)، ثمَّ يأتي أسلوب النَّهي (لا تجعل)؛ للنهي عن سلوك طريق الشِّرك. فكلُّ هذه الأساليب حواها الخطاب "ليكون ذلك أوقع لها في السَّمع، وأذهب بها في الدَّلالة على القصد"(٩٦) .

ثانياً: المقاصد غير المباشرة:

تتجلَّى هذه المقاصد في الأساليب البلاغيَّة التي يضمُّها الخطاب، وهذه الأساليب تظهر البعد التَّداوليّ؛ إذ هناك قصد في نفس منتج النَّصِّ، وهذا القصد يكشفه المتلقِّي بإعمال الفكر، وأحياناً هناك تلوينات بلاغيَّة تستدعي إثارة العاطفة وذلك وفق القرائن والسِّياقات التي يُنتج فيها النَّصُّ. من ذلك: المجاز في قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٩٧] ، في هذا الخطاب تلوح لنا مقاصد غير ظاهرة أو غير مباشرة، ففي قوله : " وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى "، مجاز، القصد منه: "ما ظفرت ولا أصبت ولكنَّ الله أيَّدك وأظفرك وأصاب بك ونصرك، ويقال: رمى الله لك، أي: نصرك الله وصنع لك. وقوله : " إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ "، مجازه: إن تستنصروا فقد جاءكم النَّصر . و " فِئَتُكُمْ شَيْئًا "، مجازها : جماعتكم "[٩٨].

ومنه أيضاً: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾[٩٩]، في الخطاب هنا تورية، والتَّورية فيها إيهام وتخييل وتوجيه، وهي أن يتكلَّم المتكلِّم بلفظ مشترك بين معنيين: قريب وبعيد، ويريد المعنى البعيد، يوهم السَّامع أنَّه أراد القريب، ففي قولنا "ناعمة" أراد بها في نعمة وكرامة، والسَّامع يتوهَّم أنَّه أراد من النُّعومة[١٠٠] .

ومن التَّورية أيضاً: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ ﴾[١٠١] ، ذكر "رضوان" مع الجنَّات ممَّا يوهم إرادة خازن الجنَّات، فالسَّامع يتوهَّم في بادئ الأمر، والذي يزيل هذا التَّوهُّم هو معرفة قواعد التَّخاطب لاستنتاج المعنى المقصود[١٠٢] : "رضوان قليل من الله أكبر من الجنَّات؛ لأنَّه رأس كلِّ سعادة "[١٠٣] .

ومن المقاصد غير المباشرة في خطاب النَّصر في القرآن الكريم، قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[١٠٤] ، "الكتاب" هو القرآن، وإسناد المجيء إليه مجاز، وقوله "يستفتحون": أي: يستحكمون أو يستعلمون أو

يستنصرون، يقولون إذا دهمهم العدوُّ: اللهمَّ انصرنا عليهم بالنبيِّ المبعوث في آخر الزَّمان، الذي نجد نعته في التَّوراة[١٠٥] .

ومن المجاز، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١٠٦]، الخطاب هنا يبيِّن صفات المؤمنين المستحقِّين للفوز والنَّجاة، وهم الذين يداخلهم الوجل عند ذكر الله تعالى، وقوله "زَادَتْهُمْ إِيمَانًا": " نسبت الزِّيادة التي هي فعل الله إلى الآيات لكونها سبباً فيها "[١٠٧]، فالمعنى المباشر لم يُطرق إنَّما جاء القصد بصورة غير مباشرة، أو غير ظاهرة، وهذا من لطيف ودقَّة الخطابات في القرآن الكريم.

ومنه أيضاً: ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾[١٠٨] ، الخطاب هنا خطاب مجازي ،فقد عبَّر عن السَّقف بالسَّماء، فالسَّماء في هذا الخطاب بمعنى السَّقف، أي : مَنْ كان يظنُّ أن لن ينصر الله محمَّداً فليمدد حبلاً إلى سقف بيته، ثمَّ ليخنق نفسه به؛ لأنَّ محمَّداً منتصرٌ لا محالة. وهذا إعجاز في الخطاب القرآنيِّ؛ لأنَّه إخبار عن المستقبل، وقد تحقَّق ذلك[١٠٩]، فالله تعالى نصر نبيَّه، وأظهر دينه على الدِّين كلِّه[١١٠]. والنَّاظر إلى هذا النَّصِّ قد لا يتبادر إلى ذهنه هذا المقصد؛ ذلك أنَّ اللغة تشتمل على عدَّة كلمات، لا تقتصر دلالتها على معناها المتبادر إلى الذِّهن، وإنَّما تتجاوز ذلك المعنى[١١١]، وهذا من بديع مقاصد القرآن في أساليب خطاباته، فأسلوب القرآن "يظهر بعض وحدات الكلام وعناصره بما يحمل القارئ على الانتباه إليها، وهذه الوحدات أو العناصر لها دلالات تمييزيَّة خاصَّة، تجعل الانتباه إليها ضرورة، والغفلة عنها تشويه للكلام "[١١٢] .

ثانياً: المقبوليَّة:

الخطاب أو عمليَّة التَّواصل تقوم على ركائز ثلاث، هي: المنتج، والمتلقِّي، محتوى الخطاب، فدور المنتج يكمن في مقصديَّته من إنشاء النَّصِّ، ودور المتلقِّي يكمن في التَّفاعل مع هذا القصد، من هذا المنطلق التَّفاعلي تصبح المقبوليّة الوجه الآخر لقصد المنتج في عمليَّة التَّواصل، والمقبوليَّة بالمعنى الواسع: رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب، أي: رغبة المتلقِّين في المعرفة، وصياغة مفاهيم مشتركة[١١٣]، فالمقبوليَّة

تتضمَّن موقف مستقبل النَّصِّ إزاء كون صورةٍ ما من صور اللُّغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصٌّ ذو سبك والتحام[١١٤]، وهذه الصُّورة اللُّغويَّة تكون ذات نفع للمتلقِّي، وتسهم في اكتسابه معرفة جديدة، أو قيامه بالتَّعاون لتحقيق خطَّةٍ ما، وذلك يتمُّ وفق مجموعة من العوامل، مثل: نوع النَّصِّ، والمقام الثَّقافيُّ والاجتماعيُّ، ومرغوبيَّة الأهداف[١١٥]، وأهداف القرآن بالدَّرجة الأولى جاءت لترسيخ الاعتقاد بالله تعالى، وضرورة التَّوكُّل عليه، وهذا ما نلحظه في خطاب النَّصر في القرآن الكريم، فالقرآن منتج ثقافيٌّ، وهو النَّصُّ المسيطر والمهيمن على الوقائع التي أُنتج لأجلها، فالنُّصوص اللُّغويَّة ليست إلّا طرائق لتمثيل الواقع، والكشف عنه بفعاليَّة خاصّة[١١٦]. وإنَّ الخطاب يتقولب بحسب المتلقِّي، أي يتشكَّل لإيصال مغزى الخطاب له، أو ليصفه بحسب أحواله، أو يقرأ مواصفات هذا المتلقِّي، وغرضه، وتفكيره، وسلوكه. والمقبوليَّة نتوخَّاها من خلال ما تشي به بنية النَّصِّ، وروابطه، وصيغه[١١٧]، فالخطاب القرآنيُّ موجَّه إلى النَّاس كافَّة، والنَّاس متفاوتون في ثقافاتهم، وأفكارهم، ومعتقداتهم، وبالتَّالي فهناك المتقبِّل للنَّصِّ القرآنيّ، وهناك الرَّافض، وممَّا جاء من ذلك في خطاب النَّصر في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾[١١٨]، تجسيد المقبوليَّة في هذا الخطاب يرتكز على نظام فكريٍّ، ونسق ثقافيٍّ يتمثَّل في شبكة من الأفكار والقيم والمعارف التي يحتويها مضمون الخطاب[١١٩]، فالخطاب هنا يعرض لقصَّة نبيّ الله صالح "عليه السلام" وهو يدعو قومه إلى ترك أفكارهم المضلَّة، ومعتقداتهم الباطلة، وقد حاججهم بالبراهين والأدلَّة على بطلان سعيهم، وأتاهم بمعجزة تؤيِّد دعوته، وكان خطابه لهم بأسلوب يشدُّهم إليه، فكان يناديهم "يا قوم "، ويخاطبهم بوصف القوميَّة له، فما كان ردُّهم إلّا أن: " قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ "[١٢٠]، وهذا ردٌّ قاطِعٌ منهم بعدم قبول هذه الدَّعوة، وهذا الخطاب على الرَّغم من الوسائل والأساليب التي اتَّبعها نبيّ الله؛ لإغرائهم بعبارات محبوكة توحي إلى التَّبسيط، وتروم نفعهم؛ لخلق نوع من الانسجام بين المخاطِب والمتلقِّي[١٢١].

ومن الخطابات التي تتجلَّى فيها المقبوليَّة، في خطاب النَّصر في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾(١٢٢)، الخطاب هنا يدلُّ على مقبوليَّة المتلقِّين له، من قوله "قل لعبادي"، فهم قد آمنوا وقبلوا خطاب نبيِّهم، فأمرهم بإقامة الصَّلاة، والإنفاق ممَّا رزقهم، فيوم القيامة "لا بيع فيه حتَّى يفتدى المقصِّر في العمل نفسه من العذاب بدفع عوض عن ذلك، وليس هناك مخاللة حتَّى يشفع الخليل لخليله، وينقذه من العذاب، فأمرهم سبحانه بالإنفاق في وجوه الخير ممَّا رزقهم الله، ما داموا في الحياة الدُّنيا قادرين على إنفاق أموالهم من قبل أن يأتي يوم القيامة، فإنَّهم لا يقدرون على ذلك، بل لا مال لهم إذ ذاك، فالجملة: " مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ "، لتأكيد مضمون الأمر بالإنفاق ممَّا رزقهم الله، ويمكن أن يكون فيه أيضاً تأكيد لمضمون الأمر بإقامة الصَّلاة؛ وذلك لأنَّ تركها كثيراً ما يكون بسبب الانشغال بالبيع، ورعاية حقوق الأخلّاء "(١٢٣).

ومن المقبوليَّة أيضاً، قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(١٢٤)، الخطاب هنا يبيِّن مقبوليَّة بني إسرائيل، وموقفهم تجاه مخلِّصهم، فالذين تقبَّلوا خطابه فازوا، والذين عارضوا خسروا، فبنو إسرائيل " كانوا أذلّاء مخزيّين ما داموا على الخمود والكسل والتَّواني، فلمَّا قاموا لله وقاتلوا في سبيل الله، واستظهروا بكلمة الحقِّ، وإن كان الصَّادق منهم في قوله قليل منهم وتولَّى أكثرهم عند إنجاز القتال أوَّلاً، وبالاعتراض على طالوت ثانياً، وبالشُّرب من النَّهر ثالثاً، وبقولهم "لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ" رابعاً، نصرهم الله تعالى على عدوِّهم، فهزموهم بإذن الله "(١٢٥)، ونُصروا عند تقبُّلهم خطاب نبيِّهم، وخطابه لهم جاء بصورة التَّحذير لهم، وتنبيههم على عاقبة عمل كلٍّ منهم، فمن التزم بالشَّرط "عدم الشُّرب من النَّهر " فاز ونجا، ومن خالف هلك، فأسلوب الشَّرط كان له أثره في بيان مقاصد المخاطِب، ممَّا أدَّى إلى إبراز مدى مقبوليَّة المتلقِّين لهذا الخطاب.

المعيار الثاني: الموقفيَّة

وهي تتضمَّن العوامل التي تجعل النَّصَّ مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه(١٢٦) ، والموقفيَّة جزء من السِّياق، الذي ينقسم على قسمين: السِّياق اللغوي، وهو ما يحيط بالمفردة من عبارات تساعد على فهمها، وضبط دلالاتها، وتتمثَّل هذه العبارات في الوحدات المعجميَّة والنَّحويَّة والصَّرفيَّة، وكذلك العلاقات التَّركيبيَّة، وهو ما يقودنا إلى الحديث عن كيفية انتظام البنيات النَّصِّيَّة وربطها وترابطها. فالسِّياق اللّغوي هو ما ينتج من استعمال الكلمة داخل الجملة المتجاورة مع جمل أخرى؛ لكي يكسبها معنى محدَّد وخاص(١٢٧) . أمَّا السِّياق غير اللّغوي فيتمثَّل في مجموعة الشُّروط الحافَّة بإنتاج النَّصّ أو الخطاب، وهي التي تبني عالمه الخارجي، واللغة ليس لها أهميَّة إلّا في سياقها الموقفي، فهي ليست مجرَّد علامات، ووحدات معجميَّة حسب، إنَّما هي جميع ما يحيط بالنَّصّ من مواقف خارجيَّة، وتتنوَّع هذه المواقف، فمنها: الثَّقافي، والعاطفي، والاجتماعي، فالخطاب شيء ديناميكي؛ لأنَّه نشاط شخصي واجتماعي، يتفاعل مع قوى أخرى في موقف بعينه(١٢٨)، فمبدأ السِّياق يتشكَّل من علاقة النَّصّ بالقارئ، ممَّا يمكِّنه من تحديد ظروف القضيَّة، وزمانها، ومكانها، ومعنى الخطاب/النَّصّ لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللُّغويَّة، أي: وضعها في سياقات مختلفة(١٢٩)، فالسِّياق في كثير من الأحيان يقوم بتحديد الدّلالة المقصودة من الكلمة في جملتها؛ إذ لكلِّ مقام مقال(١٣٠) .

والموقفيَّة في الخطاب القرآنيّ بصورة عامَّة تتعلَّق بأسباب النُّزول، فلو أردنا "تفسير أيَّة حادثة وقعت لا بدَّ من الرُّجوع إلى أسباب النُّزول؛ لنعرف المقام الذي قيلت فيه الآية، والموقف الذي حدثت فيه، ومن هنا يمكن الوصول إلى الفهم الدَّلاليّ للآيات المتعلّقة بالأحداث، وإلّا يصعب تفسيرها، وقد يقول قائل: إنَّ اللغة قطعت شوطاً كبيراً فالمفهوم الدَّلاليّ اختلف اليوم عمَّا نزلت به الآية، فالإجابة: إنَّ هذا يتعلَّق بالقرآن دون غيره من النُّصوص؛ لأنَّ التَّطوُّر الدَّلاليّ ظاهر على اختلاف العصور، فالنَّصُّ القرآنيُّ وإن كان في بادئ الأمر يخصُّ أهل عصر الرِّسالة وأيَّام نزول القرآن، إلّا أنَّه يفيد العموم هنا؛ لأنَّ ما ينطبق على أهل عصر الرِّسالة ينطبق على أهل هذا العصر، فالنَّصُّ القرآنيُّ ثابت بلا شكٍّ في حكمه على الأوَّلين والآخرين "(١٣١)، وقد حرص القرآن الكريم على اختيار الألفاظ بحسب سياق المقام، وللتَّدليل على ذلك نذكر نصَّينِ قرآنيَّينِ متشابهين في اللفظ لكنَّهما مختلفان في المقام، أحدهما من سورة النَّمل، في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا

جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾[١٣٢]، و الآخر من سورة القصص في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾[١٣٣] ، ففي القصص ذكر لفظة " أقبل " ولم يذكرها في النَّمل ؛ لأنَّ المقام في النَّمل مقام إيجاز لا مقام تفصيل كما في القصص، وكذا شيوع جوِّ الخوف في القصص يدلُّ على إيغال موسى"عليه السلام" في الهرب ، فدعاه إلى الإقبال وعدم الهرب، أضف إلى ذلك أنَّه قال في النَّمل: " إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ "؛ لأنَّ المقام مقام تكريم وتشريف، ويدلُّنا على زيادة التَّكريم والتَّشريف زيادة لفظة "لديّ"، في حين قال في القصص: " إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ "؛ لأنَّ المقام مقام خوف والخائف لا يحتاج إلى الأمن[١٣٤]، فدلالة السِّياق ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وهو من أعظم القرائن الدَّالَّة على مراد المتكلِّم[١٣٥] .

ومن الخطابات التي نزلت في مقام وموقف معيَّن، قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[١٣٦]، الخطاب هنا موجَّه إلى النَّبيِّ، في تحريض المؤمنين على القتال، وهذا التَّحريض عامٌّ وشامل في كلِّ زمان. والتَّحريض: المبالغة في الحثِّ على الأمر، من الحرَض، وهو: أن ينهكه المرض حتَّى يشفى على الموت، والله تعالى وعد المقاتلين بالنَّصر في قوله: "إن يكن منكم عشرون صابرون.......،"، فهذه عِدَةٌ من الله وبشارة بأنَّ الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفَّار بعون الله وتأييده، " بأنَّهم قوم لا يفقهون " بسبب أنَّ الكفَّار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب، وطلب ثواب، كالبهائم، فيقلُّ ثباتهم، ويعدمون لجهلهم بالله نصرته، بخلاف من يقاتل على بصيرة، وهو يرجو النَّصر من الله. قيل: كان عليهم ألّا يفرُّوا ويثبت الواحد للعشرة، ثمَّ ثقل عليهم ذلك، فنُسخ وخُفِّف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين بقوله "الآن خفَّف الله عنكم ...."[١٣٧] .

ومن الخطابات التي تتبيَّن فيها الموقفيَّة، قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[١٣٨]، الخطاب هنا موَّجه إلى النَّبيِّ محمَّد " صلى الله عليه وآله وسلم "، وقوله "واتلُ عليهم" أي: "على المدعوِّين الذين من جملتهم اليهود تلاوةً، وهي من أعظم الأدلَّة

على نبوَّتك؛ لأنَّ ذلك لا علم لك ولا لقومك به إلّا من جهة الوحي، "نبأ ابني آدم" أي: خبرهما الجليل العظيم، تلاوة ملتبسة بالحقِّ أي: الخبر الذي يطابقه الواقع إذا تُعُرِّف من كتب الأوَّلين وأخبار الماضين، كائناً ذلك النَّبأ "إذ" أي حين "قرَّبا" أي: ابنا آدم؛ ولمَّا لم يتعلَّق الغرض في هذا المقام ببيان أيِّ نوع قرَّبا منه، قال: "قربانا" أي: بأن قرَّب كلُّ واحد منهما شيئاً من شأنه أن يقرِّب إلى المطلوب مقاربته غاية القرب"[١٣٩]، فتقبَّل الله قربان هابيل ولم يتقبَّل قربان قابيل؛ لأنَّ قابيل لم يكن رجلاً صالحاً بل كانت له خطايا[١٤٠]، ولم يصرِّح القرآن باسميهما هنا؛ لعدم الاحتياج في هذا السِّياق إلى تعيينه، وكان الدَّافع وراء حدوث جريمة القتل "الحسد"، فذكر قصَّة ابني آدم في هذا المقام يتوافق مع كفر بني إسرائيل بمحمَّد "صلى الله عليه وآله وسلم"، فكفرهم به إنَّما هو للحسد، فنُبِّهوا بقصَّة ابني آدم على أنَّ الحسد يجرُّ إلى ما لا يرضي الله، وإلى ما لا يرضاه عاقل، ويكبُّ في النَّار[١٤١]، أمَّا المتَّقون فهم الفائزون النَّاجون بفضل تقواهم وابتعادهم عن محارم الله.

ومنها أيضاً: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[١٤٢]، الخطاب هنا موجَّه إلى المؤمنين، ليس إلى المؤمنين الأوائل حسب إنَّما لكلِّ المؤمنين والمجاهدين في كلِّ زمان، ابتدأ الخطاب بالنَّهيِّ عن التَّهاون والتَّواني في طلب الكفَّار بالقتال والتَّعرُّض لهم، ثمَّ ألزمهم الحجَّة بقوله: "إن تكونوا تألمون" أي: ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصّاً بكم، إنَّما هو أمر مشترك بينكم وبينهم، يصيبهم كما يصيبكم، ثمَّ إنَّهم يصبرون عليه ويتشجَّعون، فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنَّكم أولى منهم بالصَّبر؛ لأنَّكم "ترجون من الله ما لا يرجون " من إظهار دينكم على سائر الأديان، ومن الثَّواب العظيم في الآخرة[١٤٣]، فمقام هذا الخطاب يكون وعداً للمسلمين بأنَّ الله ناصرهم، وبشارة بأنَّ المشركين لا يرجون لأنفسهم نصراً، وأنَّهم آيسون منه بما قذف الله في قلوبهم من الرُّعب وهذا ممَّا يفتُّ ساعدهم[١٤٤]، "فمن محتوى النَّصِّ نستطيع تحديد الجوانب المؤثِّرة من السِّياق في النَّصِّ، وهذه الجوانب بمثابة العلامات التي تضع الإطار السِّياقيّ الذي يتشكَّل داخله ما يعرف بإطار المحور"[١٤٥]، والمحور في هذا الخطاب يفرِّق بين حقيقة الموقفين _موقف المؤمنين وموقف الكافرين– تفرقة حاسمة في بضع كلمات، ويقيس الفوارق بنفوس الفريقين ما ينتظرهما من آمال[١٤٦].

ومن الخطابات التي تبرز فيها الموقفيَّة، قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١٤٧]، يتجلَّى في هذا الخطاب الأثر

الأسلوبيُّ للقرآن الكريم باحتوائه مجموعة من آليَّات الدَّعوة، تتدرج في استعمال الخطاب وفقاً لمراعاة السِّياق، وعنصر العلاقة بين الرَّسول " صلَّى الله عليه وآله" وكفَّار قريش؛ إذْ نراه يراعي أحوالهم بما ينعكس على اختيار آليَّة الخطاب المتناسبة مع الموقف[١٤٨]، فالدَّعوة إلى سبيل الله تكون بالحكمة، والنَّظر في أحوال المخاطَبين وظروفهم، والقدر الذي بيَّنه لهم في كلِّ مرَّة حتَّى لا يثقل عليهم، ولا يشقُّ بالتَّكاليف قبل استعداد النُّفوس لها، والطَّريقة التي يخاطبهم بها، والتَّنويع في هذه الطَّريقة بحسب مقتضياتها. و "بالموعظة الحسنة" التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمَّق المشاعر بلطف، لا بالزَّجر والتَّأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نيَّة، فإنَّ الرِّفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشَّاردة.

وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له ولا تقبيح، حتَّى يطمئنَّ إلى الدَّاعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع في الوصول إلى الحقِّ، فالدَّاعي لا يقصد إلّا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها، في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه، وهزيمة الرَّأي الآخر[١٤٩]. فالخطاب يتجلَّى في شكل لغوي له أدواته اللغويَّة التي تجسِّده، وشكل آخر غير لغوي متعلِّق بالسِّياق والظُّروف التي أحاطت بإنتاج النَّصِّ، وذلك ما لاحظناه من خلال المقام الذي انطوى تحته هذا الخطاب، فبنيته النَّصِّيَّة تتوافق وسياقه الخارجي ومقاصده العليا[١٥٠] .

ومن أهمِّ المواقف التي تجري على الإنسان هو موقف الفصل بين الفوز والهزيمة، وقد ذُكر هذا الموقف في سورة الحجِّ، في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[١٥١] ، الموقف الذي نزلت فيه هذه الآية، أو الموقف الذي نزلت فيه سورة الحجِّ، هو موقف مشركي مكَّة؛ إذ أنكروا المعاد وكذَّبوه؛ بسبب تأخُّر العذاب عنهم، فجاء هذا الخطاب تحذيراً لهم، وتخويفاً؛ لما ينطوي عليه من ذكر السَّاعة وشدَّة هولها. والخطاب في قوله " يا أيُّها النَّاس " عامٌّ، وقيل: المراد أهل مكَّة، ونبَّه تعالى على سبب اتِّقائه وهو ما يؤول إليه من أهوال السَّاعة، وهو على حذف مضاف، أي: اتَّقوا عذاب ربِّكم[١٥٢]، والموقف شديد، والخطاب استعمل الألفاظ الملائمة لهذه الحال، فالزَّلزلة في قوله "زلزلة السَّاعة " أمر مهول، فجاء اللفظ في السِّياق المناسب، ثمَّ يمضي السِّياق بوصف تلك الحال " إذا هي حال ومشهد حافل بكلِّ مرضعة ذاهلة عمَّا أرضعت، تنظر ولا ترى، وتتحرَّك ولا تعي، وبكلِّ حامل تسقط حملها للهول المروِّع

ينتابها، وبالنَّاس سكارى، يتبدَّى السُّكر في نظراتهم الذَّاهلة، وفي خطواتهم المترنِّحة. مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج، تكاد العين تبصره لحظة التِّلاوة، بينما الخيال يتملَّاه، والهول الشَّاخص يذهله"[١٥٣]؛ إذ الخطاب موجَّه لكلِّ النَّاس، في كلِّ زمان، وهذا الخطاب يفصل بين الفوز والخسارة؛ إذ الخاسرون تغمرهم أهوال يوم القيامة، ولا مفرَّ لهم من عذاب الله، أمَّا المتَّقون فقد فازوا وسُعدوا.

فالسِّياق أو سياق الحال ضروريٌّ جدّاً في فهم النُّصوص، فبنية النَّصِّ مرتبطة بسياق الحال / المقام الذي يتضافر مع سياق اللغة في تحقيق التَّماسك النَّصِّيِّ للنَّصِّ، فالنَّصُّ يحوي علاقات داخليَّة وأخرى خارجيَّة مرتبطة بالسَّياق، ومن ثمَّ فهو واقع بين التَّأثير والتَّأثُّر من قبل البيئة المحيطة[١٥٤].

المعيار الثالث: الإعلامية

يرتبط موضوع الإعلاميَّة بـ"مدى التَّوقُّع الذي تحظى به وقائع النَّصِّ المعروض في مقابل عدم التَّوقُّع، أو المعلوم مقابل المجهول "[١٥٥] " فإنَّ إعلاميَّة عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معيَّن (أي إمكانه وتوقُّعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النَّظر الاختياريَّة، وكلَّما بَعُد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلاميَّة "[١٥٦] ، فالإعلاميَّة تدلُّ " على ما يجده مستقبلو النَّصِّ في عرضه من جدة وعدم توقُّع[١٥٧]، وهذا ما يوجِّه اهتمام المتلقِّي بالنَّصِّ/الخطاب، فالأمور البديهيَّة والنَّسج الرَّتيب للنَّصِّ يولِّد الملل لدى المتلقِّي ويمكن أن تقود إلى رفض النَّصِّ، أمَّا لو حدثت انزياحات أو عدولات في النَّصِّ فإنَّ أفق التَّوقُّع سيكسر عند المتلقِّي، وبذلك تتحقَّق هذه الجدة، فالمقدار المناسب من المعلوماتيَّة في النَّصِّ المعتمد على المقصد والتَّوقُّع والموقف يشكِّل بذلك عاملاً نصِّيّاً أساسيّاً، ويكون مقدار التَّواصل[١٥٨]، وعلى الرَّغم ممَّا يجد مستقبل النَّصِّ الغامض من مشقَّة وعناء في فهم النَّصِّ؛ إذ إنَّه يبذل أعلى درجات الاهتمام والتَّركيز فإنَّه في النِّهاية يحصل على أعلى درجات اللذَّة والمتعة عندما يتوصَّل إلى حلِّ ما في النَّصِّ من شفرات، والتَّوصُّل على علاقات تربط ما به من مفارقات[١٥٩] و " إنَّ هذا الغموض الذي ينتاب الوقائع التي تتَّسم بهذه الدَّرجة العالية من الإعلاميَّة يعود غالباً إلى:

١/ الانقطاعات: بمعنى الحذف، أو عدم وجود مادَّةٍ ما.

٢/ المفارقات: بمعنى أنَّ الأنماط التي ترد في النَّصِّ تكون مختلفة عن أنماط المعرفة المختزنة "[١٦٠].

وتتجلَّى الإعلاميَّة في خطاب النَّصر في القرآن الكريم في صور وتراكيب وألفاظ عديدة ، فمنها ما جاء بأسلوب الحذف، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[١٦١] ، الخطاب هنا يركِّز على إبراز الإعلاميَّة بأساليب متنوِّعة، فالاستفهام التَّقريريّ يحفِّز المتلقِّي على التَّهيُّؤ للخبر أو القضيَّة الأساس في النَّصِّ، ألا وهي قضيَّة النَّجاة، فالله وحده هو النَّاصر والمنجي لعباده، فهو ينجيهم من ظلمات البرّ، وظلمات البحر، فهنا حُذف المضاف، أي: من أضرار ظلمات البرّ والبحر، فظلمات البرِّ ظلمة الليل التي يلتبس فيها الطَّريق للسَّائر والتي يخشى فيها العدوّ للسائر أو القاطن، أي: ما يحصل في ظلمات البرِّ من الآفات، وظلمات البحر يخشى فيها الغرق والضَّلال والعدوّ.

وقيل: أُطلقت الظُّلمات مجازاً على المخاوف الحاصلة في البرِّ والبحر[١٦٢]. فحذف المضاف يشكِّل نقطة ارتكاز لقيمة المعلومة الواردة في الخطاب، والتي يلتمسها المتلقِّي من خلال القرائن والأدلَّة التي تعينه على ملء فراغات النَّصِّ. وهناك محذوف آخر في هذا النَّصِّ المبارك، في قوله "لئن أنجانا" في جملة في محلِّ نصب بقول محذوف، أي: قائلين . وحذف القول كثير في القرآن الكريم إذا دلَّت عليه قرينة الكلام[١٦٣]، وهذه القرائن بمثابة إشارات نصِّيَّة تقود خطى المتلقِّي لفهم الخطاب، وتتحكَّم في نشاطه لتجنُّب الشَّطحات التَّأويليَّة، وعدم إنطاق النَّصِّ بما لم يقله[١٦٤]. ومنه أيضاً: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[١٦٥]، الخطاب هنا تأييد ومؤازرة للنَّبيِّ محمَّد "صلى الله عليه وآله وسلم" وانتصار له، وذلك بعد عرض أحداث كثيرة من قصَّة النَّبيِّ موسى " عليه السَّلام " لم يشهدها رسول الله، عبَّرت عنها الآيات السَّابقة من سورة القصص، فوقع الحذف في قوله "وما كنت من الشَّاهدين "، وهناك محذوف تقديره: ما كنت من الشَّاهدين لهذه الأحداث، والحذف هنا يترك للمتلقِّي ذهنه أن يتفاعل مع النَّصّ؛ لتقدير هذه المحذوفات، وهو يعتمد في ذلك على السِّياق اللغوي للخطاب، وعلى الدَّلالة المتحقِّقة تبعاً لتقدير المحذوف[١٦٦] .

ويكثر الحذف في القصص القرآنيّ؛ ذلك أنَّ القرآن الكريم يميل كثيراً إلى لغة الإيجاز، وهذا الإيجاز يترك لذهن المتلقِّي العنان لتقدير المحذوف، ومنه ما جاء في سورة القصص، في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾[١٦٧]، " فهناك أحداث كثيرة حُذفت، تقديرها: فسار موسى وقومه وهم خائفون من فرعون وجنوده، ثمَّ اتَّبعه فرعون وجنوده، فأمر الله بضرب البحر بالعصا، فكان كلّ فريق كالطَّود العظيم، وعبر موسى وقومه آمنين، ثمَّ اتَّبعه فرعون وجنوده، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ "[١٦٨] ، فالإعلاميَّة هنا جاءت بدرجة عالية تبعاً لآليَّة الحذف، فالنَّصُّ القرآنيُّ زاخر بالاستعمالات الجديدة للغة، ممَّا يثير اهتمام المتلقِّي، ويدفعه إلى القراءة الاستنباطيَّة التي تخرج من النَّصِّ معاني جديدة ممَّا يرفع من درجة إعلاميَّة النَّصِّ. ومن الأمثلة القرآنيَّة التي تبرز قدرة النَّصِّ القرآنيّ على انتهاك حدود اللّغة المألوفة لدى المتلقِّي وتحثُّه على البحث وراءها ومحاولة سبر أغوارها[١٦٩]، قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

﴿صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١٧٠]، " يصطدم القارئ في هذه الآية بموجِّه نصّيّ، وهو لفظة "الصَّابرين"؛ إذْ تعمل كمثير ومنبِّه تستفزُّ وعيه وفكره وتحوّل أفقه؛ لأنَّه سيتفاجأ بورودها منصوبة وليست مرفوعة ممَّا يستلزم البحث عن علَّة ذلك، وبهذا تتحقَّق إعلاميَّة النَّصِّ وطرافته "[١٧١]، وتوجيه إعراب لفظة "الصَّابرين" يكون على أوجه: يكون "والموفون" رفعاً عطفاً على "من"، و"الصَّابرين" على المدح أي: وأعني الصَّابرين، ويكون "الموفون" رفعاً بمعنى: وهم الموفون مدحاً للمضمرينَ، و"الصَّابرين" عطفاً على ذوي القربى، ويكون "الموفون" رفعاً على وهم الموفون، و"الصَّابرين" بمعنى: وأعني الصَّابرين[١٧٢] . فبروز هذه اللفظة في الخطاب حرَّك انتباه المتلقِّي ودفعه إلى الغوص في التَّحقيق من أجل الوقوف على الغرض الذي سيقت لأجله، فكسر حدود اللغة أكسب هذا الخطاب إعلاميَّة ذات كفاءة عالية.

ومنه أيضاً، قوله تعالى: ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١٧٣]، فالتَّوكيد بـ"أجمع" يجيء بعد (كلّ)، وفي هذا الخطاب لم يذكر قبله (كلّهم) لمَّا لم يكن المراد كلَّ واحد من الآية لم تحسن الزِّيادة في التَّأكيد، بدليل الاستثناء بعده من قوله " إلّا امرأته "[١٧٤].

وتعتمد خطابات القرآن على الإيحاءات اللّغويّة المؤثِّرة التي ترفع من إعلاميَّة النَّصِّ، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[١٧٥]، في هذا الخطاب كثير من الإيحاءات اللُّغويَّة التي تلفت النَّظر، وترفع من مستوى الإعلاميَّة في الخطاب، فالخطاب هنا يبدأ بالنِّداء الذي يشكِّل أكبر وسيلة جذب للمتلقِّي، وهو يصف الفائزين بصفة لطيفة تدلُّ على حالهم، وهي (الذين آمنوا) فهم قد استمسكوا بأقوى مسبَّب للنَّصر والنَّجاة، ويأتي الأمر بـ(استجيبوا)، والاستجابة تكون لله، وللرسول (إذا دعاكم لما يحييكم)، و (دعا) يتعدَّى باللام، والمعنى هنا: " استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم

إلى إحياء أمركم "[١٧٦]، فاللام بمعنى "إلى" ويتعلَّق بـ(استجيبوا)؛ فلذلك قدّره بـ(إلى) حتَّى يتغاير مدلول اللام فيتعلَّق الحرفان بفعل واحد، ومعنى الاستجابة هنا هو الاستجابة للطَّاعة وما تضمَّنه القرآن من أوامر ونواهٍ، ففيه الحياة الأبديَّة والنِّعمة السَّرمديَّة. وقوله "ما يحييكم" الإحياء: هو مجاهدة الكفَّار؛ لأنَّهم لو تركوها لغلبوهم وقتلوهم، بدليل قوله (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)، وقيل: الإحياء بمعنى الشَّهادة، لقوله (بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)، وقيل: لما يحييكم من علوم الدِّيانات والشَّرائع؛ لأنَّ العلم حياة كما أنَّ الجهل موت، وقيل: هو إحياء أمورهم في الدُّنيا ورفعتهم، وقيل: ما يحصل لهم من الغنائم في الجهاد ويعيشون منها[١٧٧] . فكلُّ هذه التَّأويلات تفتح الآفاق أمام المتلقِّي، وتكسر توقُّعاته، وتجعله يغوص في المعاني ويطيل النَّظر فيها، وبذلك يحقِّق النَّصُّ إعلاميَّة عالية . وقوله : "وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ" أي: " يحول بين المؤمن والمعصية، وبين الكافر والطَّاعة "[١٧٨] ، وقيل: معناه: "واعلموا أنَّ الله مع المرء في القرب بهذه المنزلة، كما قال عزَّ وجلَّ: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)، وقيل: إنَّهم كانوا يفكِّرون في كثرة عدوِّهم وقلَّة عددهم فيدخل في قلوبهم الخوف، فأَعْلَمَ الله جلَّ ثناؤه أنَّه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدله بالخوف الأمن، ويبدل عدوَّهم _بظنِّهم أنَّهم قادرون عليه_ الجبن والخور[١٧٩]"، فالله تعالى قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه، ويغيِّر نيَّاته ومقاصده، ويبدله بالخوف أمناً، وبالأمن خوفاً، وبالذّكر نسياناً، وبالنّسيان ذكراً، وما أشبه ذلك ممّا هو جائز على الله تعالى . قيل: إنَّ الله يطَّلع على كلِّ ما يخطره المرء بباله، لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنَّه بينه وبين قلبه[١٨٠] .

وقوله: (واتَّقوا فتنة ....) أصل الفَتْنِ: إدخال الذَّهب النَّار لتظهر جودته من رداءته، وجعلت الفتنة كالبلاء والشِّدَّة[١٨١]. والخطاب هنا أمرَ المؤمنين ثمَّ نهاهم، وهذا فيه طرف من الجزاء وإنْ كان نهياً، ومثله قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾[١٨٢]، أمرهم ثمَّ نهاهم، وفيه تأويل الجزاء[١٨٣]، فلفظ النَّهيِّ لسليمان، ومعناه للنَّمل، كما تقول: لا أرينَّك ههنا، فلفظ النَّهيِّ لنفسك، ومعناه: لا تكوننَّ ههنا فإنِّي أراك. وقد جيء بنون التَّوكيد الثَّقيلة (لا تصيبنَّ) فكان ذلك أوكد للكلام[١٨٤]، فكان التَّقدير: " واتَّقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصّةً بل عمَّتكم "[١٨٥] . فهذا التَّأويل والإيحاء اللغويّ يبهر المتلقّي ويستهويه للبحث عن المعنى المقصود[١٨٦]. وقوله : (واذكروا إذ أنتم قليل) أي: في العدد، والجملة الاسميَّة للإيذان باستمرار ما كانوا فيه من القلَّة وما يتبعها، وقوله سبحانه: (مستضعفون) خبر ثانٍ، ويجوز أن يكون صفة لـ(قليل). وقوله : (تخافون أن يتخطَّفكم النَّاس) خبر ثالث أو صفة ثانية لـ(قليل)، ويجوز أن تكون حالاً من الضَّمير في (مستضعفون)[١٨٧] . وتظهر لنافي هذا الخطاب قوَّة جذب كبيرة تتمثَّل في الأساليب، ودقَّة

مجلة كلية التربية جامعة واسط
ISSN: 4217-1994
Education College Journal

اختيار الألفاظ، فلفظة (يتخطَّفكم) شديدة الوقع في نفس المتلقّي؛ إذ يتصوَّر تلك الشِّدَّة والسّرعة في الأخذ، فيرسم التَّعبير القرآنيُّ "مشهداً حيّاً للقلَّة والضَّعف والقلق والخوف، وهو مشهد التَّربُّص الوجل، والتَّرقُّب الفزع، حتّى لتكاد العين تبصر بالسّمات الخائفة، والحركات المفزَّعة، والعيون الزَّائغة، والأيدي تمتدُّ للتَّخطُّف، والقلَّة المسلمة في ارتقاب وتوجُّس، ومن هذا المشهد المفزع إلى الأمن والقوَّة، والنَّصر والرِّزق الطَّيِّب والمتاع الكريم في ظلِّ الله الذي آواهم إلى حماه"[١٨٨]، (فآواكم وأيَّدكم بنصره) " بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة يوم بدر، أو بأن قوَّى شوكتكم إذ بعث منكم من تضطرب قلوب أعدائكم من اسمه "[١٨٩]، ثمَّ يستأنف الخطاب للمؤمنين يحذّرهم من العصيان الخفيّ بعد أن أمرهم بالطَّاعة والاستجابة لله ولرسوله " صلى الله عليه وآله وسلم "، حذّرهم من أن يظهروا الطَّاعة والاستجابة في ظاهر أمرهم ويبطنوا المعصية والخلاف في باطنه[١٩٠] ، ويأتي الخطاب بأسلوب النَّهي (لا تخونوا)، والنَّهي عنصر استفزاز للمتلقّي وقوّة دافعة باتّجاه الخطاب، فهو يجعل المتلقّي يسترسل في الإصغاء لما نُهي عنه، بحيث ينصبُّ اهتمامه على فحوى الخطاب والتَّركيز في مراميه.

وقوله (واعلموا أنَّما أموالكم .....) يذكر أنَّ الأموال والأولاد فتنة، وجيء في الإخبار عن ذلك بطريق القصر قصراً ادّعائيّاً؛ لقصد المبالغة في إثبات أنَّهم فتنة[١٩١]. وقوله (يا أيّها الذين آمنوا إن تتَّقوا الله يجعل لكم فرقاناً) أي: يجعل لكم بسبب ذلك الاتّقاء فرقاناً، أي: هداية ونوراً في قلوبكم تفرّقون به بين الحقّ والباطل، أو نصراً يفرق بين المحقّ والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين، أو نجاة في الدّارين، أو مخرجاً من الشُّبهات، أو ظهوراً يشهر أمركم وينشر صيتكم[١٩٢]. وقوله: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك....)، معنى يثبتوك: يحسبوك في البيت (أو يخرجوك) على البعير (أو يقتلوك)[١٩٣] ، ولكنَّ الله ناصرك عليهم، فهو خير نصير.

لاحظنا في النَّصِّ المبارك أساليب نحويَّة وبلاغيَّة لها عدَّة وجوه في التَّركيب واللفظ الواحد؛ وذلك لإفادة تقوية الحكم وتوكيده وتقريره في مواجهة شكِّ المتلقّي، ويفضي إلى جدة في طريقة العرض، لإحداث مفاجآت وكسر للتَّوقُّع ممَّا يؤدّي إلى البحث عن المعنى، فعندما يكون النَّصُّ نمطيّاً معياريّاً في أبعاده ملتزماً حدود المعجميَّة محتفظاً بقوالبه المكانيَّة والزَّمانيَّة بعيداً عن كسر التَّرابط الرَّصفيّ، يأتي النَّصُّ خالياً من أيّ مفاجأة، مبتعداً عن كلّ عدول عن المعياريَّة ممّا يحتّم تضييق أبعاده التي تتجاوز معطياته بلا تأويل أو استدعاء لمفهوميَّة المتلقّي، بل يظلُّ المعنى الدَّلاليّ هو المعنى الموجود في النَّصِّ وليس أبعد منه[١٩٤]، ففي النَّصِّ المبارك كسر للرَّتابة وهذا الكسر أدّى إلى إبراز الملامح الأسلوبيَّة، وكساها حلَّة جذّابة أخذت أبعاداً إعلاميَّة عالية لدى المتلقّي

المعيار الرابع:التَّناصّ

للتَّناصّ دور بارز في إثبات صفة النَّصِّيَّة؛ ذلك "إنّ البحث في الآليّات التي تتحكّم في عمليتي الإنتاج والتّلقّي جعل التَّناصّ محوراً لدراسة العلاقة بين النُّصوص لمحاولة فهم النَّصِّ وتفسيره، في ضوء اعتبار أنَّ التَّناصّ سمة من سمات النَّصِّيَّة، وأنَّه إحدى الطُّرق التي يترابط بها النَّصُّ مع النُّصوص السَّابقة عليه "[١٩٥]، فهو " تعالق (الدّخول في علاقة) نصوص مع نصٍّ حدث بكيفيِّات مختلفة "[١٩٦]؛ ذلك أنَّ كلَّ نصٍّ يشكِّل صدى لنصٍّ آخر إلى ما لا نهاية، وهذا التَّرابط النَّصِّيُّ يوسِّع آفاق التَّناصية، فالنّصوص حلقات معرفية متواصلة تأبى الانقطاع وترفض النّهائيّة فهي في حركة مستمرّة أحدها يؤدّي إلى الآخر ويكمّله ويثريه[١٩٧]. فالتَّناصّ: " هو ترحال للنّصوص وتداخل نصّيّ في فضاء نصّ معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى "[١٩٨]. فالتّناصّ: أن يتقاطع في النَّصِّ مؤدّى مأخوذاً من نصوص أخرى[١٩٩]، بحيث يغدو النَّصُّ المتناصّ خلاصة لعدد من النُّصوص التي محيت الحدود بينها، وأُعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبقَ من النُّصوص السَّابقة سوى مادّتها، وغاب الأصل، فلا يدركه إلّا ذو الخبرة والمران[٢٠٠]؛ لأنَّ الأمر يتعلّق بتوجيه قراءة النَّصِّ والتَّحكُّم في تأويله على اعتبار أنَّ كلَّ نصٍّ يمتلك علاقة نسب. والتَّناصُّ يبدو في ثلاثة فضاءات: يتحدَّد الفضاء الأوَّل كمكان لتحديد الملفوظات الآتية من مكان آخر، والفضاء الثَّاني: فضاء الفهم الذي يتحرَّك بحسب شيفرة جديدة، وهو نتاج اللقاء بين خطابين أو أكثر في ملفوظ واحد، أمَّا الفضاء الثَّالث فهو الفضاء الدَّاخليّ للنَّصِّ حيث يجلي النَّصُّ مباشرة العلاقات التي تدخل أجزاءه المكوّنة له[٢٠١] .

والنُّصوص في القرآن الكريم تتقاطع وتتسلسل في سلاسل متماسكة من المعاني والقضايا؛ لذا فهو زاخر بالتّناصّ، فهو كلام الله المعجز الذي أيّد الله به نبيّه محمَّداً "صلى الله عليه وآله وسلم" وجعله معجزة لقوم صَنْعتهم الأولى الكلام، يتنافسون فيه، ويتبارون، وقد حوى القرآن الكريم معجزات كثيرة لا تستطيع الأذهان إحصاءها، إلّا أنَّ الله تعالى يبدي لكلّ عصر شيئاً منها، ومن هذا الإعجاز القرآنيّ أنَّك تجده يفسّر بعضه بعضاً، بما يمكن أن نطلق عليه (التّناصّ القرآنيّ)[٢٠٢]. ومن أمثلة التّناص في خطاب النّصر في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[٢٠٣] ، ذكر سبحانه وتعالى

في هذه الآية الكريمة "أنَّه فضّل المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وأجراً عظيماً، ولم يتعرَّض لتفضيل بعض المجاهدين على بعض، ولكنَّه بيَّن ذلك في موضع آخر ، وهو قوله: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٠٤)، وقوله في الآية الكريمة (غير أولي الضّرر)، يفهم من مفهوم مخالفته أنَّ من خلفه العذر إذا كانت نيَّته صالحة يحصِّل ثواب المجاهد"(٢٠٥) .

ومن هذا التّعالق ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾(٢٠٦) ، لم يبيّن هنا سبحانه وتعالى سبب عفوه عنهم ذنب اتّخاذ العجل إلهاً، ولكنَّه بيّنه في سورة البقرة، بقوله: ﴿ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٢٠٧)، فالفاء في (فتوبوا) للتَّسبيب؛ لأنّ الظلم سبب للتَّوبة، ولمّا كان السّامريّ قد عمل لبني إسرائيل من حليّهم عجلاً ، قيل لهم : توبوا إلى بارئكم، أي: منشئكم وموجدكم من العدم(٢٠٨)، وقوله: (فاقتلوا أنفسكم)، "فيه ثلاثة أقوال: الأوّل: الأمر بقتل أنفسهم. الثّاني: الاستسلام للقتل. والثّالث: التّذليل للأهواء. والأوّل هو الظّاهر، وهو الذي نقله أكثر النّاس، وظاهر الكلام أنَّهم مأمورون بقتل أنفسهم، فقيل: وقع القتل هكذا قتلوا أنفسهم بأيديهم. وقيل: قتل بعضهم بعضاً من غير تعيين قاتل ولا مقتول. وقيل: القاتلون هم الذين اعتزلوا مع هارون، والمقتولون عبّاد العجل. وقيل: القاتلون هم الذين كانوا مع موسى في المناجاة بطور سيناء، والمقتولون من عداهم "(٢٠٩)، فالنّصّ الثّاني امتداد للنّصّ للأوّل، فهو يتعالق معه في القضيّة نفسها؛ إذْ عرضت مجمله في الأوّل، وفُصّلت و وُضّحت في الثّاني.

ومنه أيضاً، قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٢١٠) ، الخطاب هنا يبيّن ما ينبغي أن يُعامل به الجهلة من شياطين الإنس والجنّ، "فبيّن أنّ شيطان الإنس يُعامل باللين وأخذ العفو، والإعراض عن الجهلة، وأنّ شيطان الجنّ لا مُنجي منه إلّا بالاستعاذة بالله منه. قال في الأوّل: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾، وقال في الثّاني: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

﴿الْعَلِيمُ﴾[٢١١] ، وقوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾[٢١٢] ، وقال في شيطان الإنس: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٢١٣] ، وقوله: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢١٤]، وزاد هنا أنَّ ذلك لا يُعطاه كلّ النّاس، بل لا يعطيه الله إلّا لذي الحظِّ الكبير، والبخت العظيم عنده، فقال: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٢١٥]، فهذه النُّصوص كلُّها مرتبطة مع بعضها البعض، وهذا الارتباط يوثِّق المعرفة التي تعرضها النّصوص من خلال الفهم والاسترجاع إذا كانت مزاوجة لأنماط المعرفة المختزنة، أو إذا كانت قابلة للتَّعلُّق بالمدخلات الرَّئيسة في أحد الأنماط الكليَّة، وقد يحدث إحداث تغييرات على المعرفة التي يعرضها النّصّ في عمليّة الاسترجاع من أجل إحداث مزاوجة أفضل مع أنماط المعرفة المختزنة، كما قد تتعرَّض العناصر المتمايزة في المعرفة التي يقدّمها النّصّ للاندماج معاً في بؤرة النّصّ[٢١٦].

وأكثر صورة يبرز فيها التّناصّ في القرآن الكريم، هي القصص القرآنيّ؛ إذْ تُذكر القصَّة في مواضع متعدِّدة من القرآن، وكلُّ نصٍّ له ارتباط بالنّصوص الأخرى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ﴾[٢١٧] ، أنكر الله تعالى على قوم نوح "عليه السّلام" وقوم هود "عليه السّلام" عجبهم من إرسال رجل؛ وبيَّن في مواضع أُخر أنَّ جميع الأمم عجبوا من ذلك. قال في عجب قوم نبيِّنا محمَّد "صلى الله عليه وآله وسلم" من ذلك: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾[٢١٨]، وقال: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾[٢١٩]، وقال عن الأمم السّابقة: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[٢٢٠]، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝ فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ ﴾[٢٢١]، وقال: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴾[٢٢٢] ، وصرَّح بأنّ هذا العجب من إرسال بشر مانع للنّاس من الإيمان بقوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً ﴾[٢٢٣]، وردَّ الله عليهم ذلك وانتصر لرسله في نصوص كثيرة، كقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً ﴾[٢٢٤]، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾[٢٢٥]، وقوله: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾[٢٢٦]، فكلُّ هذه النُّصوص متشابهة في الدَّلالة، وقد جاءت في أماكن متفرِّقة ومتباعدة من القرآن الكريم؛ إذِ انبثق معنى واحد

في نصٍّ معيَّن، وتناسلت منه قضايا وأحداث لغويَّة ودلاليَّة، تؤكِّد الرَّصف المتين للخطابات الإلهيّة، ومن مجموع تلك النّصوص نلحظ الوظائف المتعدِّدة لكلِّ نصٍّ، فكلُّ نصٍّ يؤدِّي وظيفة محدَّدة في السِّياق الذي جاء فيه؛ إذِ التَّناص " فسيفساء من نصوص أخرى أُدمجت فيه بتقنيَّات مختلفة "(٢٢٧) .

ومن التَّناص في القصص القرآنيّ، قوله تعالى: ﴿ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾(٢٢٨) ، لم يبيِّن هنا كيفيَّة إغراقهم، ولكنَّه بيَّنها في موضع آخر، كقوله: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾(٢٢٩)، وقوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾(٢٣٠)، نوح " عليه السّلام" دعا ربَّه أن ينصره: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾(٢٣١) ، " انتصر يا ربّ لرسولك الذي كذّبوه، وانتصر لدينك الذي حاربوه، وانتصر لأوليائك الذين اضطهدوهم، وانتصر للحقّ الذي أنكروه. استجاب الله دعاء ونداء نوح، وسمع استنصاره به، فنصره ونجَّاه، وأوقع بأسه وعذابه بالكفَّار، فكان الطّوفان "(٢٣٢)، وكان النَّصُّ الأوّل مجملاً لم يذكر تفصيلات الإغراق، فجاءت نصوص أخرى تبسّط وتوضّح هذا المجمل، وبذلك يكون نسيج القصّ متواصلاً يربط أجزاء القصَّة في سرد محكم، متناسق الأجزاء(٢٣٣) . وقوله تعالى في عاد: ﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾(٢٣٤)، لم يبيِّن هنا كيفيَّة قطعه دابر (عاد) ولكنَّه بيَّنه في مواضع أُخر، كقوله: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾(٢٣٥)، وقوله: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾(٢٣٦) .

وقوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾(٢٣٧)، ظاهر هذه الآية الكريمة أنَّ (عقروها) باشرته جماعة، ولكنَّه تعالى بيَّن في سورة القمر: أنَّ المراد أنَّهم نادوا واحداً منهم فباشر عقرها: ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴾(٢٣٨).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾(٢٣٩)، لم يبيّن هنا هذا الذي يعدهم به ولكنَّه بيَّنه في مواضع أُخر أنَّه العذاب، كقوله: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾(٢٤٠)، وقوله: ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾(٢٤١) ، ويأتي النَّصر لنبيِّ الله صالح "عليه السلام"، والهلاك للكافرين، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾(٢٤٢)، لم يبيِّن هنا سبب رَجفة الأرض بهم، ولكنَّه بيَّن في موضع

آخر أنَّ سبب ذلك صيحة الملك بهم، وهو قوله: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾[٢٤٣]، والظَّاهر أنَّ الملك لمَّا صاح بهم رجفت بهم الأرض من شدَّة الصَّيحة، وفارقت أرواحهم أبدانهم[٢٤٤] .

فالتَّناص في هذه القصص وغيرها يؤكِّد حبك النَّصِّ، وفي الوقت نفسه يشكِّل عنصر جذب قويٍّ للمتلقِّي؛ إذ إنَّ المتلقِّي يتشوَّق إلى القصَّة وإلى تتبُّع أحداثها، ومعرفة نهاياتها، فتتعطَّش النُّفوس إلى استقبالها، وتتوجَّه الآذان إلى سماعها. وقد استعمل القرآن القصَّة للعظة والعبرة، وتسلية للنبيّ "صلّى الله عليه وآله وسلم" كما أمر الله نبيَّه في كتابه أن يقصَّ على قومه القصص؛ ليكون لهم فيها عبرة وموعظة، وليتخذوا منها منطلقاً إلى التَّفكير السَّليم القويم الذي يهديهم إلى الحقِّ[٢٤٥]؛ إذْ قال جلَّ وعلا: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢٤٦]، وهذا العرض والتَّنويع في الأساليب له أثره في عمليَّة الاتّصال؛ إذ كلَّما ازداد تعالق النُّصوص ازداد التَّأثير في المتلقِّي وازدادت فاعليَّة الخطاب.

المصادر

- **القرآن الكريم .**
- الاتِّصال اللُّغويّ في القرآن الكريم، دراسة تأصيليَّة في المفاهيم والمهارات، فهد محمَّد الشّعابي الحارثي، منتدى المعارف، بيروت، ط١، ٢٠١٤ م .
- استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويَّة تداوليَّة، عبد الهادي بن ظافر الشَّهريّ، دار الكتاب الجديد، ط١، ٢٠٠٤ م .
- الاستلزام الحواريّ في التَّداول اللّسانيّ، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، الرِّباط، ط١، ١٤٣٢ هـ- ٢٠١١م .
- الأسلوبيَّة والأسلوب، عبد السَّلام المسدي، الدَّار العربية للكتاب، طرابلس، ط٣ .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمَّد الأمين المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣ هـ)، ت: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد .
- الإعجاز في نسق القرآن، دراسة للفصل والوصل بين المفردات، محمَّد الأمين الخضري، مكتبة زهراء الشَّرق، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
- إعراب القرآن، النَّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمَّد بن إسماعيل النَّحَّاس (٣٣٨هـ)، ت: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النَّهضة العربيَّة، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- انفتاح النَّصّ الرّوائيّ (النّصّ والسّياق)، سعيد يقطين، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت- لبنان،الدّار البيضاء- المغرب، ط٢، ٢٠٠١م.
- البحر المحيط، محمَّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ)، ت: عبد الرَّزاق المهديّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت .
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدِّين محمَّد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤ هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التّراث، القاهرة .
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: عبد الكريم الغرباوي، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
- التِّبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ)، ت: علي محمَّد البجاوي، عيسى البابي حلبي وشركاه .
- التَّحرير والتَّنوير (تحرير المعنى السديد وتنور العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمَّد الطَّاهر بن عاشور (ت١٩٧٢ هـ)، الدار التُّونسية، تونس، ١٩٨٤م .
- تحليل الخطاب الرِّوائي، سعيد يقطين، المركز الثَّقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م .
- تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التَّناصّ –، محمَّد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦.
- التَّصوير الفنِّيّ في القرآن، سيِّد قطب، دار الشُّروق، ط١٦، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٥م.
- التَّعبير القرآني، د.فاضل صالح السَّامرائي، دار عمار، عمان-الأردن، ط٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

- جماليَّة الخطاب في النَّصِّ القرآنيّ، قراءة تحليليَّة في مظاهر الرُّؤية وآليَّات التَّكوين، لطفي فكري محمَّد الجوديّ، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م .
- الجهاد طريق النَّصر، عبد الله غوشه، وزارة الأوقاف والشُّؤون والمقدَّسات الإسلاميَّة، عمان، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف أبو زيد الثَّعالبي المالكي (٨٧٥هـ)، ت: الشَّيخ علي محمَّد معوض، والشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢ هـ)، ت: محمد علي النَّجار، دار الشؤون الثقافيَّة، بغداد، ط٤، ١٩٩٠م.
- الخطاب القرآنيّ دراسة في العلاقة بين النَّصِّ والسِّياق، خلود العموش، جدارا للكتاب العالميّ، عمَّان-الأردن ، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .
- الخطاب وخصائص اللُّغة العربيَّة، أحمد المتوكِّل، دراسة في الوظيفة والبنية والنَّمط، دار الأمان، الرِّباط، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .
- دراسات في النَّصِّ والتَّناصيَّة، محمَّد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن بن محمَّد الجرجاني (٤٧١هـ)، ت: محمود محمَّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدِّين السَّيِّد محمود الآلوسي (١٢٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د-ت.
- علم الدَّلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٥، ١٩٩٨م .
- علم اللغة النَّصِّيِّ بين النَّظرية والتَّطبيق، دراسة تطبيقيَّة على السُّور المكِّيَّة، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- علم النَّصِّ، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء،١٩٩١م.
- علم النَّصِّ، مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط١، القاهرة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
- علم لغة النَّصِّ المفاهيم والاتِّجاهات، سعيد حسن بحيري، الشَّركة المصريَّة العالميَّة للنَّشر، لونجمان ، ١٩٩٧م .
- علم لغة النَّصِّ، النَّظريَّة والتَّطبيق، عزة شبل محمَّد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .
- فتح القدير الجامع بين فني الدِّراية والرِّواية في علم التَّفسير، محمَّد بن علي بن محمَّد الشَّوكاني (ت١٢٥٠هـ)، ت: عبد الرَّحمن عميرة ، دار الوفاء .
- في ظلال القرآن، سيِّد قطب، دار الشُّروق، ط٣٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
- القصص القرآنيّ، عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

- الكشّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨ هـ)، ت: الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشَّيخ علي محمَّد معوض، مكتبة العبيكان، الرِّياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
- لسانيَّات النَّصِّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثَّقافي العربي، بيروت، ط١، بيروت، ١٩٩١.
- لمسات بيانيَّة في نصوص من التَّنزيل، فاضل صالح السَّامرَّائيّ، دار عمار، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
- مبادئ اللّسانيَّات، أحمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمَّر بن المثنَّى (٢١٠هـ)، ت: محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة .
- المحرَّر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، أبو محمَّد عبد الحقّ بن غالب بن عطيَّة الأندلسيّ (٥٤٦هـ)، ت: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .
- مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسفي (ت٧١٠ هـ)، ت: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطَّيِّب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- مدخل إلى علم النَّصِّ ومجالات تطبيقه، د. محمد الأخضر الصبيحي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان .
- مدخل إلى علم النَّصِّ، مشكلات بناء النَّصِّ، زتسيسلاف واورزنياك، ترجمة: أ.د.سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم لغة النَّصِّ- تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و ولفجانج درسلر، إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، دار الكاتب ، ط١ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
- المرايا المحدَّبة من البنيويَّة إلى التَّفكيك، عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢)، ١٩٩٨ .
- مستويات السَّرد الإعجازيّ في القصَّة القرآنيَّة، شارف مزاري، اتِّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م .
- المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير، أحمد بن محمَّد بن عليّ المقري الفيُّوميّ (ت٧٧٠ هـ)، ت: عبد العظيم الشّناويّ، دار المعارف، القاهرة .
- المصطلح اللّسانيّ وتأسيس المفهوم، خليفة الميساويّ، منشورات ضفاف، الرِّياض، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- المصطلحات الأساسيَّة في لسانيَّات النَّصِّ وتحليل الخطاب، نعمان بو قرة، جدارا للكتاب العالميّ، عمَّان-الأردن ، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م .
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدَّار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحق إبراهيم بن السَّري الزَّجَّاج (٣١١هـ)، ت: عبد الجليل عبه شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- معاني القرآن، عليّ بن حمزة الكسائيّ (١٨٩هـ)، ت: عيسى شحاته عيسى، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

- المعايير النَّصِّيَّة في السُّور القرآنيَّة (المكيَّة والمدنيَّة)، دراسة تطبيقيَّة مقارنة، يسري نوفل، دار النَّابغة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٤م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدِّين عبد الرَّحمن بن أبي بكر محمَّد السيوطيّ (ت٩١١ هـ)، ت: عليّ محمَّد البجاوي، دار الفكر العربي .
- معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس ، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
- معجم مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥ هـ)، ت: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، بيروت .
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدَّلالة في العربيَّة، محمَّد يونس عليّ، دار المدار الإسلاميّ، ٢٠٠٧م .
- مفاتيح الغيب، محمَّد الرَّازي فخر الدِّين ابن العلاّمة ضياء الدِّين عمر المشتهر بخطيب الرَّي (٦٠٤هـ) ، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
- المفارقة القرآنيَّة، محمَّد العبد، دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمَّد الرَّاغب الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ)، ت: صفوان عدنان داؤودي ، دار القلم، دمشق.
- مفهوم النَّصّ، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٠م .
- من النَّصِّ إلى الفعل، بول ريكور، ترجمة: محمَّد برادة، حسان بورقية، عين للدِّراسات والبحوث الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، القاهرة ، ط١، ٢٠٠١م .
- الميزان في تفسير القرآن، السَّيِّد محمَّد حسين الطَّباطبائيّ، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ط، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- النَّحو والدَّلالة، مدخل لدراسة المعنى النَّحويّ الدَّلاليّ، محمَّد حماسة عبد اللطيف، دار الشُّروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
- النَّصُّ الغائب، تجلِّيات التَّناصّ في الشِّعر العربيّ، محمَّد عزام، اتِّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م .
- النَّصّ والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٩٨.
- النَّصُّ والسِّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدَّلاليّ والتَّداوليّ، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشَّرق، المغرب ، ٢٠٠٠م .
- النَّظريَّات اللِّسانيَّة الكبرى، ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، ترجمة: محمَّد الرَّاضي، المنظمَّة العربيَّة للتَّرجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٢م .
- نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، برهان الدِّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٥٥ هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٣٨٩ هـ-١٩٦٩م.
- علم اللُّغة النَّصِّيّ بين النَّظريَّة والتَّطبيق، الخطابة النَّبويَّة نموذجاً، نادية رمضان، مجلَّة علوم اللغة، المجلَّد التَّاسع، العدد الثَّاني، ٢٠٠٦م .

- في لسانيَّات النَّصِّ وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانيَّة في البناء النَّصِّيّ للقرآن الكريم، عبد الرَّحمن بو درع، بحث مقدَّم للمؤتمر الدّوليّ لتطوير الدّراسات القرآنيَّة، جامعة الملك سعود، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م .

الأطاريح والرَّسائل الجامعيَّة:

- الإعلاميَّة في الخطاب القرآنيّ، دراسة في ضوء نظريَّة التَّواصل، (أطروحة دكتوراه)، زهراء جياد عباس، كلِّيَّة الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- دلالة السِّياق في النَّصِّ القرآنيّ،(أطروحة دكتوراه)، علي حميد خضير، كليَّة الآداب، الأكاديميَّة العربيَّة في الدّنمارك، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- الخطاب القرآنيّ، دراسة في البعد التَّداوليّ، (أطروحة دكتوراه)، مؤيَّد عبيد آل صوينت، كليَّة الآداب، الجامعة المستنصريَّة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

الهوامش

---

(١) لسان العرب: مادَّة (خطب)، ١/٣٦١.

(٢) المصباح المنير: مادَّة (خطب)، ١٠٦.

(٣) استراتيجيَّات الخطاب، مقاربة لغويَّة تداوليَّة: ٣٩.

(٤) الخطاب القرآنيُّ، دراسة في العلاقة بين النَّصِّ والسِّياق: ٢٤.

(٥) الخطاب وخصائص اللغة العربيَّة: ٢٤.

(٦) تحليل الخطاب الرِّوائيّ: ١٧.

(٧) ينظر: الخطاب وخصائص اللُّغة العربيَّة: ٢٤.

(٨) النَّصُّ والخطاب، قراءة في علوم القرآن: ١٧.

(٩) تاج العروس: ١٨ / ١٧٩.

(١٠) المصباح المنير: ٢/٨٣٥.

(١١) ينظر: من النَّصِّ إلى الفعل: ٩٥.

(١٢) ينظر: انفتاح النَّصِّ الرِّوائيّ: ٥.

(١٣) لسانيَّات النَّصِّ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٣.

(١٤) النَّصُّ الغائب: ٢١.

(١٥) علم النَّصِّ: ٢١.

(١٦) علم اللُّغة النَّصِّيّ بين النَّظريَّة والتَّطبيق: ١/٢٩.

(١٧) الخطاب القرآنيّ، دراسة في العلاقة بين النَّصِّ والسِّياق: ٢٢.

(١٨) النَّصُّ والخطاب والإجراء: ٦.

(١٩) ينظر: النَّظريَّات اللسانيَّة الكبرى: ١١٥.

(٢٠) معجم مقاييس اللغة: مادَّة (نصر)، ٥/٤٣٥.

(٢١) لسان العرب: مادَّة (نصر)، ٥/٢١٠-٢١٢.

(٢٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٨٠٩.

(٢٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٧٠١-٧٠٤.

(٢٤) المائدة/٥٢.

(٢٥) النُّور/٥٥.

(٢٦) الفتح/٢٤.

(٢٧) التَّوبة/٨.

(٢٨) التَّحرير والتَّنوير: ١٢٣/١٠.

(٢٩) آل عمران/١٨٥.

(٣٠) النِّساء/١٣.

(٣١) البقرة/٥٣.

(٣٢) التَّحرير والتَّنوير: ٥٠٢/١.

(٣٣) البقرة/٤٩.

(٣٤) الصَّافَّات /١٧٣.

(٣٥) البقرة/٢٤٩ .

(٣٦) النَّصر والهزيمة، دراسة قرآنيَّة: ٨٣.

(٣٧) البقرة/٢٥١.

(٣٨) الفتح/١.

(٣٩) القمر/١٠-١٤.

(٤٠) الأعراف/٧٢.

(٤١) الأعراف/٧٨.

(٤٢) الصَّافَّات /٩٧-٩٨.

(٤٣) البقرة/٢٥٨ .

(٤٤) الأنعام/٨٣ .

(٤٥) المائدة/٦٧ .

(٤٦) النُّور/٥٥.

(٤٧) ينظر: الجهاد طريق النَّصر: ١٧١.

(٤٨) الحجرات/١٥.

(٤٩) الأحزاب/٢٣.

(٥٠) الذَّاريات/٥٦.

(٥١) الأحزاب/٤١.

(٥٢) الرَّعد/٢٨.

(٥٣) النِّساء/١٠٢-١٠٣.

(٥٤) ينظر: التَّحرير والتَّنوير: ١٨٨/٥.

(٥٥) الأنفال/٦٠.

(٥٦) الجهاد طريق النَّصر: ١٧٦.

(٥٧) ينظر: عوامل النَّصر والتَّمكين في دعوات المرسلين: ٢٥-٢٦، والكشَّاف: ٤٢٧/٦.

(٥٨) ق/٣١-٣٣.

(٥٩) الأنعام/١٥١.

(٦٠) البيِّنة/٧-٨ .

(٦١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣، والمصطلحات الأساسيَّة في لسانيات النَّصِّ وتحليل الخطاب: ١٢٨.

(٦٢) الخصائص: ٣٣/١.

(٦٣) علم لغة النص المفاهيم والاتِّجاهات: ١٤١.

(٦٤) علم لغة النَّصِّ النَّظريَّة والتَّطبيق: ٢٨.

(٦٥) مدخل الى علم النفس مشكلات بناء النَّصِّ: ٢١.

(٦٦) مدخل إلى علم لغة النَّصِّ: ١٥١.

(٦٧) علم لغة النَّصِّ النَّظريَّة والتَّطبيق: ٢٨.

(٦٨) ينظر: مدخل إلى علم لغة النَّصِّ ومجالات تطبيقه: ٩٦-٩٧.

(٦٩) دلائل الإعجاز: ٣٤٦.

(٧٠) ينظر: علم النَّصِّ مدخل متداخل الاختصاصات: ١١٤.

(٧١) تحليل الخطاب الشِّعريّ استراتيجيَّة التَّناصّ: ١٤٠.

(٧٢) المصطلحات المفاتيح في اللِّسانيَّات: ٦٢.

(٧٣) ينظر: المصطلح اللِّسانيّ وتأسيس المفهوم: ١٩٢، واستراتيجيَّات الخطاب، مقاربة لغويَّة تداوليَّة: ١٨٣.

(٧٤) ينظر: معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب: ٢٨٨.

(٧٥) ينظر: علم لغة النَّصِّ النَّظريَّة والتَّطبيق: ٢٨-٢٩.

(٧٦) النساء/ ١٢٣-١٢٥.

(٧٧) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢/٣٠٤.

(٧٨) ينظر: الخطاب القرآنيّ دراسة في البعد التَّداوليّ: ٢٢.

(٧٩) المائدة/٦٩.

(٨٠) النُّور / ٥٤ -٥٦.

(٨١) ينظر: أدوات النَّصّ: ١٩-٢٠.

(٨٢) الأحزاب/ ٣٥.

(٨٣) ينظر: الإعجاز في نسق القرآن: ٩٧.

(٨٤) آل عمران / ١٤-١٧.

(٨٥) التَّحرير والتَّنوير: ٣/١٧٨.

(٨٦) ينظر: المحرَّر الوجيز: ١/٤١٠.

(٨٧) النِّساء/٩٥.

(٨٨) التَّوبة/١١١.

(٨٩) مفاتيح الغيب: ١٦/٢٠٥.

(٩٠) الإعجاز في نسق القرآن: ١٦٥.

(٩١) جماليَّة الخطاب في النَّصّ القرآنيّ: ١٠١.

(٩٢) فصِّلت/٣٠.

(٩٣) ينظر: الاستلزام الحواريّ في التَّداول اللّسانيّ: ١٠٦.

(٩٤) الإسراء/١٨-٢٢.

(٩٥) في لسانيَّات النّصّ وتحليل الخطاب: ٥٨.

(٩٦) الخصائص: ١/٢١٥.

(٩٧) الأنفال /١٧-١٩.

(٩٨) مجاز القرآن: ١/٢٤٤-٢٤٥.

(٩٩) الغاشية / ٨١ .

(١٠٠) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/٤٤٥.

(١٠١) التَّوبة/٢١.

(١٠٢) ينظر: البرهان: ٣/٤٤٥

(١٠٣) البقرة/٨٩.

(١٠٤) معترك الأقران: ٣/٥٨٧.

(١٠٥) ينظر: البحر المحيط: ١/٤٣٨.

(١٠٦) الأنفال/٢.

(١٠٧) البرهان: ٢/٢٥٦.

(١٠٨) الحجّ/١٥.

(١٠٩) ينظر: التَّعبير القرآنيّ: ٤٣.

(١١٠) ينظر: فتح القدير: ٣/٦٠١.

(١١١) ينظر: المعنى وظلال المعنى: ٤٨.

(١١٢) الأسلوبيَّة والأسلوب: ٨٣.

(١١٣) ينظر: علم لغة النَّصِّ، النَّظريَّة والتَّطبيق: ٣٤.

(١١٤) النَّصُّ والخطاب والإجراء: ١٠٤.

(١١٥) ينظر: مدخل إلى علم لغة النَّصِّ: ٣١.

(١١٦) ينظر: مفهوم النَّصِّ: ٢٨.

(١١٧) ينظر: الخطاب القرآنيّ، دراسة في العلاقة بين النَّصِّ والسِّياق: ٤٢٣.

(١١٨) هود/٦٣-٦٦.

(١١٩) ينظر: الخطاب القرآني، دراسة في البعد التَّداوليّ: ١٢١.

(١٢٠) هود/٦٢.

(١٢١) ينظر: اللِّسانيَّات في الثَّقافة العربيَّة المعاصرة: ١٠٤.

(١٢٢) إبراهيم / ٣١.

(١٢٣) فتح القدير: ٣/١٥٠.

(١٢٤) البقرة / ٢٤٩.

(١٢٥) الميزان: ٢/ ٢٨٧-٢٨٨.

(١٢٦) ينظر: النَّصُّ والخطاب والإجراء: ١٠٤.

(١٢٧) ينظر: المصطلح اللِّسانيّ وتأسيس المفهوم: ١٩١، ومبادئ اللِّسانيَّات: ٣٥٥.

(١٢٨) ينظر: المفارقة القرآنيَّة: ٤٠.

(١٢٩) علم الدّلالة: ٦٨.

(١٣٠) ينظر: النَّحو والدّلالة، مدخل لدراسة المعنى النَّحويّ الدّلاليّ: ٩٨، ومبادئ اللسانيَّات: ٣٥٧.

(١٣١) دلالة السِّياق في النَّصِّ القرآنيّ: ٦٥-٦٦.

(١٣٢) النَّمل/١٠.

(١٣٣) القصص/٣١.

(١٣٤) ينظر: لمسات بيانيَّة في نصوص من التَّنزيل: ٩٢-٩٣.

[١٣٥] ينظر: البرهان: ٢٠١/٢.

[١٣٦] الأنفال / ٦٥-٦٦.

[١٣٧] ينظر: مدارك التَّنزيل: ١/ ٦٥٥.

[١٣٨] المائدة /٢٧.

[١٣٩] نظم الدُّرر: ٦/ ١١٣.

[١٤٠] ينظر: التَّحرير والتَّنوير: ١٦٩/٦.

[١٤١] ينظر: نظم الدُّر :١١٣/٦-١١٤.

[١٤٢] النِّساء / ١٠٤.

[١٤٣] ينظر: الكشَّاف: ١٤٤/٢-١٤٥.

[١٤٤] ينظر: التَّحرير والتَّنوير: ١٩٠/٥.

[١٤٥] المفارقة القرآنيَّة: ٤٢.

[١٤٦] ينظر: التَّصوير الفنِّيُّ في القرآن: ٢٥٠-٢٥١.

[١٤٧] النَّحل / ١٢٥.

[١٤٨] ينظر: جماليَّة الخطاب في النَّصِّ القرآني: ٨٦ .

[١٤٩] ينظر: في ظلال القرآن: ٢٢٠٢/٤.

[١٥٠] ينظر: في لسانيَّات النَّصِّ وتحليل الخطاب: ٢٧.

[١٥١] الحجُّ / ١-٢.

[١٥٢] ينظر: البحر المحيط: ٤٢٤/٦.

[١٥٣] في ظلال القرآن: ٤ / ٢٤٠٨.

[١٥٤] ينظر: علم اللُّغة النَّصِّيّ بين النَّظريَّة والتَّطبيق: ١٠٨/١.

[١٥٥] مدخل إلى علم لغة النَّصِّ: ٣٣.

[١٥٦] النَّصُّ والخطاب والإجراء: ٢٤٩.

[١٥٧] مدخل إلى علم لغة النَّصِّ: ١٨٤.

[١٥٨] ينظر: مدخل إلى علم اللُّغة النَّصِّيّ: ٩٤.

[١٥٩] ينظر: المعايير النَّصِّيَّة في السُّور القرآنيَّة: ٢٥٤.

[١٦٠] النّصّ والخطاب والإجراء: ٢٥٥.

[١٦١] الأنعام / ٦٣.

[١٦٢] ينظر: التَّحرير والتَّنوير: ٢٨٠/٧-٢٨١.

[١٦٣] المصدر نفسه: ٢٨١/٧.

(١٦٤) ينظر: الإعلاميَّة في الخطاب القرآنيّ: ٤٠.
(١٦٥) القصص/٤٤.
(١٦٦) ينظر: علم اللُّغة النَّصِّيّ بين النَّظريَّة والتَّطبيق: ٢/٢٣٨.
(١٦٧) القصص/٤٠.
(١٦٨) علم اللُّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: ٢/٢٤٠.
(١٦٩) ينظر: المعايير النَّصِّيَّة في السُّور القرآنيَّة: ٢٥٩-٢٦٠.
(١٧٠) البقرة / ١٧٧.
(١٧١) الإعلاميَّة في الخطاب القرآنيّ: ٤٨.
(١٧٢) ينظر: معاني القرآن، الكسائي: ٨٣ ، وإعراب القرآن، النَّحَّاس: ١/٢٨٠.
(١٧٣) الحجر / ٥٩.
(١٧٤) ينظر: البرهان: ٢/٣٨٩.
(١٧٥) الأنفال / ٢٤-٣٠ .
(١٧٦) معاني القرآن، الفرّاء: ١/ ٤٠٧.
(١٧٧) ينظر: البحر المحيط : ٤/٦٠٨-٦٠٩ .
(١٧٨) معاني القرآن، الفرَّاء: ١/٤٠٧.
(١٧٩) معاني القرآن وإعرابه، الزَّجَّاج: ٢/٤٠٩-٤١٠.
(١٨٠) ينظر: الكشّاف: ٢/٥٧٠-٥٧١.
(١٨١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٦٢٣.
(١٨٢) النّمل / ١٨.
(١٨٣) معاني القرآن، الفرّاء: ١/٤٠٧.
(١٨٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزَّجَّاج: ٢/٤١٠.
(١٨٥) ينظر: التِّبيان في إعراب القرآن: ٦٢١، وروح المعاني: ٩/١٩٢.
(١٨٦) هناك الكثير من التَّأويلات والأعاريب لهذه الآية الكريمة، قد فصَّل القول فيها الآلوسي، ينظر: روح المعاني: ٩/١٩٢-١٩٤.
(١٨٧) ينظر: روح المعاني: ٩/١٩٢.
(١٨٨) في ظلال القرآن: ٨/١٤٩٦.
(١٨٩) روح المعاني: ٩/١٩٥.
(١٩٠) التَّحرير والتَّنوير: ٩/٣٢١.
(١٩١) ينظر: المصدر نفسه: ٩/٣٢٥.
(١٩٢) ينظر: معاني القرآن، الفرّاء: ١/٤٠٨، والكشّاف: ٢/٥٧٢، وروح المعاني: ٩/١٩٦، والبحر المحيط: ٤/٦١٦.

(١٩٣) معاني القرآن، الفرّاء: ١/٤٠٩.

(١٩٤) ينظر: الإعلاميَّة في الخطاب القرآني: ٥١.

(١٩٥) علم لغة النّصّ، النّظريّة والتّطبيق: ٧٥ .

(١٩٦) تحليل الخطاب الشّعريّ، استراتيجيّة التّناصّ: ١٢١.

(١٩٧) ينظر: المرايا المحدّبة: ٣١٧.

(١٩٨) علم النّصّ: ٢١.

(١٩٩) دراسات في النّصّ والتّناصية: ٦٠.

(٢٠٠) النّصّ الغائب: ٢٧.

(٢٠١) ينظر: انفتاح النَّصّ الرّوائيّ: ٩٥.

(٢٠٢) ينظر: المعايير النّصّيّة في السّور القرآنيّة: ١٧٣.

(٢٠٣) النِّساء/٩٥.

(٢٠٤) الحديد/١٠.

(٢٠٥) أضواء البيان: ١/٣٩٦.

(٢٠٦) النّساء/٥٣.

(٢٠٧) البقرة / ٥٤.

(٢٠٨) ينظر: البحر المحيط: ١/٣٠١.

(٢٠٩) المصدر نفسه: ١/٣٠٤.

(٢١٠) الأعراف/١٩٩.

(٢١١) فصّلت/٣٦.

(٢١٢) المؤمنون/٩٧-٩٨.

(٢١٣) المؤمنون/٩٦.

(٢١٤) فصّلت/٣٤.

(٢١٥) فصّلت/٣٥.

(٢١٦) ينظر: علم لغة النَّصِّ النّظريَّة والتَّطبيق: ٧٩.

(٢١٧) الأعراف/٦٣.

(٢١٨) يونس/٢.

(٢١٩) ق/٢.

(٢٢٠) التَّغابن/٦.

(٢٢١) القمر/٢٣-٢٤.

(٢٢٢) المؤمنون/٣٤.

(٢٢٣) الإسراء٩٤.

(٢٢٤) النَّحل/٤٣ .

(٢٢٥) الفرقان/٢٠.

(٢٢٦) الأنعام/٩.

(٢٢٧) تحليل الخطاب الشّعريّ: ١٢١.

(٢٢٨) الأعراف/٦٤ .

(٢٢٩) القمر/١١.

(٢٣٠) العنكبوت/١٤.

(٢٣١) القمر/١٠.

(٢٣٢) القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث: ١٩٠/١.

(٢٣٣) ينظر: مستويات السّرد الإعجازي في القصّة القرآنيّة: ١٥٠.

(٢٣٤) الأعراف/٧٢.

(٢٣٥) أضواء البيان: ٣٨٢/٢.

(٢٣٦) الحاقّة/٦.

(٢٣٧) الذّاريات/٤١.

(٢٣٨) الأعراف/٧٧.

(٢٣٩) القمر/٢٩.

(٢٤٠) الأعراف/٧٧.

(٢٤١) هود/٦٤.

(٢٤٢) هود/٦٥.

(٢٤٣) الأعراف/٩١.

(٢٤٤) هود/٦٧.

(٢٤٥) ينظر: الاتّصال اللُّغويّ في القرآن الكريم: ٨٢-٨٣.

(٢٤٦) الأعراف/١٧٦.